

مَقَالَاتٌ وَمُحَاضِرَاتٌ د. مُحَمَّدِ الطَّبْرَانِيِّ

الرسائلُ المغربية
إلى الحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ،
والتَّشَوُّقُ إِلَى الْحَجِّ
بِوَاعِثٍ وَقَضَايَا





الرسائل المغربية إلى الحجرة النبوية، والتشوق إلى الحج

بواعث وقضايا

د. محمد الطبراني

كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، مراكش



مهله

إن دالة المحبوب على حبيبه أن يخصه بما يشي بدالته عليه، ويعرف شفوف مقامه عند الناس بما ينفرد عنهم فيه، وقد حظي المغاربة وأهل الغرب بضرب من هذا الأمر، فإن ذكرت فنون الأدب، وضرب الناس بأسهمهم على أقدارٍ مقدورة، وقسمٍ مقسومة، اختص أهل صقعنا بهذا الفن الرسالي، فلم يكن للمشاركة حظ فيه.

وإننا لنلح ميسم الغبطة الصارخة لمن قيض له الإناخة بالبيت العتيق من الأندلسيين، وتفصي من عوائق الوصول، في رسائل التهئة بالصدور عن بيت الله الحرام، فن ذلك قول أبي القاسم محمد بن عبد الله بن الجدد الفهري (ت 515 هـ) يخاطب صديقا له قفل من تلك الوجهة الوجية: "فيا لها حجة مبرورة ما أتم مناسكها، وأوضح في مناج البر مسالكها، لقد شهد فيه الميقات بخلوص إحلالك وإحرامك، واهتز البيت العتيق لطوافك واستلامك، ورضيت المروة والصفاء عن كمال أشواطك، وتهلل بطن المسيل لسعيك فيه وانحطاطك، ثم بالموقف الأعظم من عرفة سَطَعَ عرف دعائك وتخشعك، وارتفع خفض رغبتك وتضرعك، وفي البيت المكرم من المزدلفة حظي تقربك وتزلفك، وزكا تهجدك وتفلُّك، وعند الإفاضة فاضت الرحمة عليك، وكلت النعمة لديك. وأما مني ففيها قضيت مناك وأوطارك، وقبلت هداياك وجمارك، وحطت خطاياك وأوزارك، فما صدرت عن تلك المعالم المكرمة، والشعائر المعظمة، إلا وهي راضية عن عجبك وثجك، شاهدة لك بكامل حجك، مُشفقة من فراقك وبعديك، متعلقة لو أمكنها ببردك، وقبل أو بعد ما تأنت بك يثرب، ورفع لك في جناحها مضرب، فشافهت منازل التنزيل، وطالعت معاهد الرسول، وقضيت من زيارة القبر الكريم واجبا، وفت بينه



وبين المنبر ضارعاً راغباً، فما حُجِبَ عنه عليه السلام زورك وإمامك، وقصدك وأتمامك، وصلاتك وسلامك، بل كان لكل ذلك راعياً سامعاً، ويكون لك بحول الله شاهداً شافعاً¹.

والأدل على تلکم الغبطة رسالة لابن مغاور الشاطبي (ت 587 هـ)، كتبها إلى صديق أقام بأرض الحجاز مدةً طويلة، افتتحها بقوله:

يا نازح الدار إن الدهر ذو خلْسٍ × والأمر يحدث بين السهو والغلسِ

قد يجمع الله بين النازحين معاً × من الحجاز بمن في أرض أندلس²

واختتمها بهذا الرجاء والدعاء: "ولعلَّ الله الذي أناف بك على الأمل، ووفَّقك في القول والعمل، وحملك على راحلةٍ أو جمل، ينادينا فيهدينا، ويسرِّح لنا من توفيقه نوراً يسعى بين أيدينا، فنغشى المسجد الحرام آمين، مُحَلِّقين رؤوسنا ومقصرين، آمين اللهم آمين، والسلام"³.

أولاً: البواعث:

- انعدام الأمن في سبيل الحج:

وهو باعثٌ تردد بين الظهور والخفاء، تبعاً لاستقرار الأحوال ببلدان العبور في المغرب أو المشرق أو اضطرابها، وقد ظهر في بعض الفترات التاريخية صدىً جلياً لذلك في المدونات الفقهية، من قبيل السؤال الذي وجهه الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (ت 537 هـ) لابن رشد الجد (ت

¹ - كنز الكُتاب ومنتخب الآداب للبونسي: 417-418؛ الذخيرة لابن بسام (ط دار الغرب): 222/2.

² - نور الكُتَّاب وبيع الحمام: 219.

³ - نور الكُتَّاب وبيع الحمام: 222.



520 هـ)، يسأله عن الأفضل لأهل العدو وأهل الأندلس، أهو الحج أم الجهاد¹. ووردت القضيةُ عنها في المنهاج في ترتيب نوازل ابن الحاج (ت 529 هـ)؛ عند قوله: "وأخبرني القاضي أبو مروان، قال: حدثني أبي: قال سرتُ إلى الحج، فلقيت أبا بكر بن عبد الرحمن وأبا عمرانَ الفاسيَ فقيهي القيروان، فقالا لي: يا فقيه: وأنت أيضا تأتي إلى الحج!؛ وأنت تعلم أن فرض الحج ساقطٌ عن الأندلس منذ كذا وكذا...؟"².

وقلةٌ ممن خالف مقالةَ ابن رشد، كالقاضي ابن العربي، وهو القائل في السراج³: "والعجب من يقول: "إن الحج لا يجب على أهل المغرب. وهو يسافر من قطرٍ إلى قطرٍ، ويخرق البحار، ويقطع المخاوف، في مقاصد دينية أو دنيوية، والحال واحدة؛ في الخوف والأمن، والحلال والحرام، وإنفاق المال وإعطائه في الطريق وغيره لمن لا يرضى".

لكن لا مدفع أن بعض الفقهاء خبر عن كثبٍ وعورة الطريق وإعواز الأمن، وهؤلاء عند المشاحة أحرى بالتقليد، حتى قال أبو بكر عبد الله بن طلحة اليابري الإشبيلي (ت 523 هـ)⁴ في المدخل إلى كتاب سيف الإسلام "السبيل السابلة"⁵ [أي، إلى الحج] اسم لا يكاد يوجد له مسمى، فلقد دخلت الطريق من الأندلس إلى إشبيلية ثم إلى بجاية، وعبرت الزقاق، وتخيئت وجود السبيل، ثم خرجت إلى المهديّة، فلقيت في بلاد المغرب ما اعتقدت أن الحج معه ساقط على أهل المغرب بل

¹ - نوازل ابن رشد: 1021/2؛ المعيار: 423/1.

² - المنهاج في ترتيب نوازل ابن الحاج (مخطوط): 25-26؛ نوازل ابن الحاج التجيبي: 234/2؛ ر: 205.

³ - 384/2. ون بقية مقاله في 385/2.

⁴ - ن ما كتبه في سيرته بقدمه كتابه "المختصر في علم أصول الدين".

⁵ - سبيل سابل: مسؤلوك.



حَرَامٌ"، ثم قال: "ولكنَّ الانصراف فيما بين الله وبين العبد أولى من تقحُّم هذه المخاطرَات؛ و ﴿الله الأمر من قبل ومن بعد﴾¹، ﴿وما أصبكم من مصيبة فيما² كسبت أيديكم﴾³4.

كما لم يغب هذا التهمُّ بحكم الحجِّ عن أرباب المقامات أيضاً، فأشار إليه أبو العباس ابن العريف المراكشي (ت 542 هـ) في مفتاح السعادة⁵؛ وذلك قوله لأحد أصحابه -وفيه نظراً-: "ذكر لي أن لك أملاً في الحجِّ، وأنت سألْتَ عن مراكب السَّفَر، وعندنا مراكب، ولكن بلغني ما أنت عليه في موضعك من برِّ الأعيان والأشراف وإقامات حاجات الضَّعاف، وعملٌ منه واحدٌ أفضلٌ من كثيرٍ من الحجِّ والغزو؛ حملك الله على الأَقصد الأَرشد برحمته".

إشارة صوفية: "قال الإمام أبو عبد الله المازري حين تكلم على هذه المسألة -أعني مسألة سقوط فرض الحجِّ عن يكره على دفع مال غير مُجحفٍ به لظالمٍ استغرمه إياه ما نصّه-: وقد خاض في هذه المسألة المتأخرون وأكثروا فيها القول، فكلُّ تعلقٍ بمقدار ما يكثر على سمعه من المسافرين إلى مكة شرفها الله، من تهويلٍ ما يجري على المنجّاج. قال: ولقد حضرتُ مجلسَ شيخنا أبي الحسن اللخميِّ بصفاقص، وحوّله جمعٌ من أهل العلم من تلامذته، وهم يتكلّمون على هذه المسألة، فأكثروا القولَ والتنازعَ فيها... فمن قائلٍ بالإسقاط، ومن متوقِّفٍ صامت، والشيخ رحمه الله لا يتكلّم، وكان معنا في

¹ - الروم: 3.

² - صحفت في المطبوع: "فيما".

³ - الشورى: 28.

⁴ - مواهب الجليل: 456/3؛ المعيار المُعرب: 433/1. ون كتابنا عن ابن طلحة الباطني ومختصره في أصول الدين.

⁵ - ص: 212.



المجلس الشيخ أبو الطيب الواعظ، وكما ما أبصرناه، فأدخل رأسه في الحلقة وخاطب الشيخ الخمي
وقال: يا مولاي الشيخ:

إن كان سفك دمي أقصى مرادهم × فما غلت نظرة منهم بسفك دمي
فاستحسن الخمي هذه الإشارة من جهة طرق المتصوفة، لا من جهة التفقه¹.

- البعد الجغرافي:

ونعطف على هذا السبب، البعد الجغرافي الذي ألمح إليه ابن أبي الخصال (ت 539 هـ) في
قوله إن "حشاشته تهب بعوائق البعد عن النبي صلى الله عليه وسلم"².

ولا يزال هذا السبب مترددا في قصائد ورسائل الأندلسيين، حتى وإن كانوا ممن حج وزار،

ومنه قول ابن جابر الضرير:

لله أشكو البعد عن خير حمي × قد صدني عن أنسه شخط النوى

يا منزلاً ما بين نجد والحمي × ويا دياراً بين كُتبان اللوى

هل لي في تلك المغاني عودة × أو جرعة من ذلك الماء الروى³

إلى أن يقول:

وكيف لا آسى على بعدي عن قوم جرى من جودهم ما قد جرى

أنصار دين الله والهادي الذي × لولا وضوح هديه ضلّ الورى

¹ - مواهب الجليل: 456/3.

² - أزهار الرياض: 24/4-25.

³ - نفع الطيب: 320/7-321.



فالقلب بين مشرقٍ ومغربٍ × مقسم اللوعة مجذوبُ العرى
 إذا ذكرتُ الغربَ حنتُ مهجتي × وبلّ دمي من جوى الشوقِ الثرى
 وإن ذكرتُ حُبَّ من في مشرقٍ × أبطأ بي حبه من السرى
 إن يصف من وجهٍ لشخصٍ موردٌ × كدر من أخرى فلا صفو يرى
 فإن ترحلتُ فقلبي عندكم × لم يرتحل عن بابكم ولا سرى
 ولا تزالُ رسلُ شوقي أبداً × تثرى على مجدكم الجزلِ الندى
 ولن تمر ساعةٌ إلا هفاً × بذكركم مفصحُ نظمي وشدا
 لا أوحش الله دياراً أنتم × فيها ولا أزرى بمرعاهما الصدى
 ولا نأت داركم ولا خلا × ربيعكم ما راح يومٌ واغتدى¹

وأصرح منه قول ابن الصباغ، وقد "أملاه بلسان الاكثاب، في حالة التباعد والاعتراب":

حُبُّ براه الشوقُ بالمغرب الأقصى × يناديكم ريشوا جناحي فقد قُصَا
 يزيدُ بنقصِ العمرِ ضعفاً وشيبةً × وتلك زياداتٌ تُكسبه نقصاً
 ستقطعُ بيدَ الحبِّ أينقُ وجدِهِ × ويعملُ في مرضاتك الوحد² والنصا³
 لعلك تُحيي دارساتِ رسومٍ من × بريقة هجرانِ الأحبة قد غصا
 فيمنحُ بالتقريبِ أنسا ورفعةً × ويصبحُ من بعد التباعدِ مختصاً¹

¹ - نفع الطيب: 323/7.

² - سعة الخطو وسرعة في المشي.

³ - التحريك حتى يستخرج من الدابة أقصى سيرها.



- خوف جواز لجة البحر:

وقلة من صرحوا بهذا المصرف، فمنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، ابن الجنان المرسي

(ت بعد 650 هـ):

تميّز أهل السبق لكن غيرهم × غدا همجا بين الخليقة هامجا
 أيلحق حلس للبيوت مداهم × ولم يلب في تلك المدارج دارجا؟
 ألا ليت شعري للضرورة هل أرى × إلى الله والبيت المحجب خارجا؟
 له الله من ذي كربة ليس يرتجى × لمرئجها يوما سوى الله فارجا
 قد أسهمت شتى المسالك دونه × فلا نهج يلتقي فيه لله ناهجا
 يخوض بحار الذنب ليس يهابها × ويضعق ذعرا إن يرى البحر هاجا
 جبان إذا عن الهدى، وإذا الهوى × يعن له كان الجريء المهارجا
 يتيه ضلالا في غيابة همه × فلا حخر تهديه لرشد ولا حجا
 فواحربا لاح الصباح لمبصر × وقلبي لم يبصر سوى الليل إذ سجا
 لعل شفيعي أن يكون معاجلا × لداء ذنوب بالشفاء معالجا
 فينشقني بيت الإله نواحفا × ويعبق لي قبر النبي نواحفا

- الحالة السياسية المضطربة:

¹ - ديوان ابن الصباغ الجذامي: 20-21؛ والأبيات مختارة من مقطعة أوفى. ون أيضا مقطعة في نفس المعنى: 51؛



ومن هذا القبيل أيضا الحالة السياسية المقلقة بالأندلس والمغرب في بعض الفترات التاريخية؛ حيث لم يكن بمستطاع الكثير القصد إلى بيت الله في ظروف بلادهم التي لا يأمنون معها على ذريتهم ومخلفاتهم.

ولذلك وصف العامري نفسه بأنه "منتبذ مكانا قصيا، مدير على الإمام به زمنا عصيا"¹. وأجمل أبو العباس الإلبيري وهو يخاطب النبي الأعظم، قواطع الرحلة في الفتنة، ثم عرج على تفصيلها، بتكثُر النصارى وغيرهم من مسّ المسلمين بسوطِ الهوان، وهو ما يثني بتشظي السلطة المركزية، وضعف أمراء الأطراف عن حماية الحدود والثغور، وعجزهم عن تأمين السبل:

فَالكُلُّ مُشْتَاقٌ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا × مَعَزَى الْجَمِيعِ وَشَأْنُهُمْ مِنْ شَأْنِي

لَكِنَّهُمْ فِي فِتْنَةٍ قَطَعْتَهُمْ × وَتَضَرَّمَتْ كَتَضَرَّمِ النَّيْرَانِ

إِنَّ الْبِرَابِرَ وَالنَّصَارَى مُكِّنَتْ × أَيْدِيَهُمْ فِينَا بِكُلِّ هَوَانٍ²

وكان الخلفاء أقوم بمعرفة الأحوال السياسية المتقلبة، فأحاط بذرو منها أبو زكريا الحفصي في الرسالة النبوية التي أنشأها إلى الحضرة الشريفة؛ وفيها يقول: "فإن تأخرت عن زيارتك إقداما، فقد أعلمت في عَضُدِ سُنَّتِكَ أَقْدَامًا، وَإِنْ لَمْ أَنْتَبْهُ، فَإِنِّي يَقِظٌ لَمَا جِئْتَ أَنْتَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ أَرِدْ مِنْ تِلْكَ الشَّرِيعَةِ، فَإِنِّي بَانَ دَفَاعِي عَنْ شَرِيعَتِكَ بِكُلِّ ذَرِيعَةٍ، فِي بِلَادٍ تَجَادَعُ أَفَاعِيهَا، وَيَصُمُّ وَاغِيهَا، وَلَا يُجَابُ إِلَى شِقَاقِ وَاخْتِلَاقِ دَاعِيهَا، فَقَدْ صَارَتِ الْمَوَاسِطُ تَغُورُ فِتْنَتَهَا وَتُجْبَدُ، وَتَرْكَعُ فِيهَا الْمَوَاضِي إِلَى مَحَارِبِ السَّنَابِكِ وَتَسْجُدُ، وَقَدْ أَوَى كَثِيرٌ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ إِلَى ذِمَّةِ الصَّلِيبِ، وَلَمْ يَأْخُذْ أَهْلُهَا مِنَ الرَّأْيِ وَالْأَنَاءَةِ بِنَصِيبِ، فَوَقَفَتْ دُونَهَا لَا رَغْبَةً عَنْ مَهْوَى أَفْتَدَةِ الْعِبَادِ، وَرَعِيَتْ هُدُونَهَا لَا تَتَأَقُلًا عَنْ

¹ - العطاء الجزيل: خ.

² - عيون الإمامة: 51؛ ر: 13.



يَبْتِ سِوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ، وَرَابَطْتُ أَطْرَافَهَا لَا عَجْزًا عَنِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَبَقِيْتُ أُخْبِطُ فِي غَسَقِهَا
وَإِنِّي لَفَقِيرٌ إِلَى نُورِ ذَلِكَ الْفَتِيقِ"¹.

- الزَّمانَةُ وَالْهَرَمُ:

لم تكن بعض تلك الرسائل بداعي الشوق فحسب، ولكنها كانت كذلك بباعث الشكوى وبثّ
الهمّ، وهو دعاءٌ مصروفٌ إلى الله باطنا، واستشفاعٌ في هذا المقام بالنبي صلى الله عليه وسلم ظاهراً،
ومثاله ما كتبت به على لسان أحد القرطبيين، وقد كان أضرّ به المرض حتى ألزمه قعر بيته فصار
قعيداً؛ ونصّها:

"من عتيق هداه، وزايره بحبته وهواه، المستكشف بركته لبؤاه، المستشفع بشفاعته في دنياه
وأخراه: فلان:

كُتِبَ وَقِيدٌ مِنْ زَمَانَتِهِ مُشْفِيٌ × بِقَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ أَحْمَدَ مُسْتَشْفِي
لَهُ قَدَمٌ قَدْ قِيدَ الدَّهْرُ خَطْوَهَا × فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِلَّا الْإِشَارَةَ بِالْكَفِ
وَلَمَّا رَأَى الزُّوَارَ يَبْتَدِرُونَهُ × وَقَدْ عَاقَهُ عَنِ قَصْدِهِ عَائِقُ الضَّعْفِ
بِكِي أَسْفَاً وَاسْتَوَدَعَ الرِّكْبَ إِذْ غَدَاوا × تَحِيَّةَ صَدَقَ تَفَعَّمُ الرِّكْبَ بِالْعَرَفِ
فِيَا خَاتَمِ الرُّسُلِ الشَّفِيعِ لِرَبِّهِ × دَعَاءٌ مَهِيضٍ خَاشِعٍ الْقَلْبَ وَالطَّرْفِ
عَتِيقُكَ عَبْدُ اللَّهِ نَادَاكَ ضَارِعاً × وَقَدْ أَخْلَصَ النُّجُوى وَأَيَقَنَ بِالْعَطْفِ
رَجَاكَ لُضْرًا عَجَزَ النَّاسَ كَشْفُهُ × لِيَصْدُرَ دَاعِيَهُ بِمَا شَاءَ مِنْ كَشْفِ
لِرَجْلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَقَصَّرَتْ × خُطَاها عَنِ الصَّفِّ الْمَقْدَمِ وَالزَّحْفِ

¹ - البيان المعرب: 530/4.



وإني لأرجو أن تعودَ سَوِيَّةً × برحمة من يُحيي العظام ومن يشفي
وأنت الذي نرجوه حياً وميتاً × لصرفِ خطوبٍ لا تُرِيعُ إلى صَرفِ
عليك سلام الله عِدَّةَ خَلْقِهِ × وما يرتضيه من مزيدٍ ومن ضِعْفٍ¹

وقد كتب ابن أبي الخصال رسالةً إلى الجناب النبوي، يسأل الله فيها أن يرُدَّ عليه بصره²،
وأن لا يميتَه حُلَسَ بيته مع الاستطاعة؛ وفي ذلك يقول: "اللهم كما أريتني تلك المعالم المنيفة خيالاً،
وخططت منها في الضمير مثالا، وأريتنيها ملء السمع والفؤاد جمالا، فاشفِ بمرآها بصراً ضريراً،
وبسناها يرتدُّ بصيراً...".

وبعض هذه الرسائل تصدر عن أصحابها في حال الشَّيْبَةِ وما يرافقها من وهنٍ وإحساس
بُقُربِ المنقلب، ويدلُّ له أن بعضهم ذكر ما يشي بعمره، فقال في سياق الطلب المنصرف للحضرة
عليه: "وأخ هذه الشَّيْبَةِ، باب بني شيبه".

والشيب والشاخة سبب الأسباب في الحيلولة دون وصل الأحباب، وهو ما عبّر عنه ابن

الصباغ الجذامي بالقول:

شوقي إلى ذاك المقام أثاره × حزنٌ تلهبَ لَفْحُهُ بفؤادي
يا ويحَ مكتئبٍ لما قد شَفَّه × من فرطِ أحزانٍ وطولِ بَعَادِ
كم رام قُربَ الدار من أحبابه × لو أسعفَ المقدورُ بالإسعاد
كم رام أن يشفي بزورته ظمًا × قلبٍ إلى تلك المعاهد صادي
أيام أُطْلِعَ بدرُ حُسْنِ شبابه × من فوقِ ناعمِ غُصْنِهِ الميادِ

¹ - أزهار الرياض: 29/4-30.

² - أزهار الرياض: 26/4.



والآن قد لعبت به أيامه × وعدت عليه للشيب عوادي
 شيب وضعف وانتزح مواطن × فتي يتيح الدهر نيل مراد
 لهني على عمر تصرم وانقضى × أفنيت فيه طارفي وتلاذي
 فلا ترفن مدامعي أسفاً على × ما قدمته يدي ليوم معادي
 يا حادي الأظعان يأمل طيبة × اقصص فديتك قصتي يا حادي
 وانزل بهاتيك الربوع وقف على × نادي الندى إما عرضت وناد
 هذا أسير بعادكم أجفانه × تحكي بفيض الدمع سحّب عهد
 فتي على بعد الديار وشخطها × يحظى بوصلكم حليف سهاد¹
 وله من قصيدة أخرى في نفس المعنى يخاطب ركب الحجيج:

نويتم رحلة وأقام لما × ترحل عن معالمة الشباب
 ضعفت عن المسير فدمع عيني × له في الخلد سخ وأنسكاب²

- ضعف التدين والتلبس بالذنوب:

قين بالتنبية أن كثيراً من كبار المترسلين، أراغوا علة قعودهم عن الزيارة، ودخولهم في زمرة الخلفين، إلى تلبسهم بكبائر ما نهوا عنه، من المعاصي المقصرة بهم عن إدراك الأمانة وبلوغ القصد؛ وهؤلاء على الحقيقة أسخن عينا وأصدق عاطفة وأشد تأثيراً في نفس المتلقي، لأنهم يفصحون في جلية الأمر عن مكنون وعيه، وخبيثة صدره، ويتحدثون بلسانه، وسواء حينها أكانت الرسالة لفلان أو

¹ - ديوان ابن الصباغ الجذامي: 7-8.

² - ديوان ابن الصباغ الجذامي: 56؛ ر: 54.



علان، لخروجها من حِمَى التعبير الشخصي الفرداني، إلى وَسْعِ البَوْحِ الإنساني المتَّخِذِ شكلَ المونولوج النفسي.

"ومن سَلَكَ هذا الوادي، وأرسل - إذ غلبه الشوق - دموعه الغَوادي، ذو البيان الذي قَلَّ له الموازي، الشيخ أبو زيد الفَازَازي (ت 627 هـ)؛ فإنه كتب إلى الحجرة الطيبة، على ساكنها أفضل السلام والصلوات الواكِفَةَ الصَّيِّبَةَ، بما نصه:"

يا سيدَ الرُّسُلِ المكينِ مكانُهُ × ومقدِّماً وهو الأخيرُ زمانُهُ
 والمصطفى المختارُ من هذا الوري × فمحلُّه عالي المحلِّ وشأنه
 ومن النبوءة والطَّهارة والهدى × شَرَفَ حَوَاهُ فَوَادِهِ ولسانُهُ
 عُنْوَانُ طِرْسِ¹ الأنبياءِ وختمُهُم² × والطَّرْسُ يُكَلِّ حَسَنَهُ عُنْوَانُهُ
 فالدهرُ خَلَقَ³ أحمدَ إصباحُهُ × وانلخَقُ جَفْنُ أحمدٍ إنسانُهُ
 ناداكَ عبدٌ آخرته ذنوبُهُ × والشوقُ تَلْفَحُ قلبه نيرانُهُ
 وفَدَّتْ عليك رِكابُ أربابِ التَّقَى × والمذنبُ انلخَطَّأ كُفَّ عَنانُهُ
 لَمَّا تَخَلَّفَ للتخلفِ مذنباً × في المذنينِ وغرَّه⁴ إمكانُهُ
 كَتَبَ الكِتَابَ لعله إذ⁵ لم يَزُرْ × باللحظِ قَبْرَكَ أن تزور⁶ بنانُهُ

¹ - فيه إشارة نبهية إلى اسم الماحي صلى الله عليه وسلم.

² - في الآثار: ختمه.

³ - في الآثار: أفق.

⁴ - في الآثار: وعزه.

⁵ - في الآثار: إن.

⁶ - في الآثار: يزور.



ووراء أضلاعي فؤاد قيدهُ × إلف الذنوبِ وسجنه أشجانهُ
 لكنَّ حبَّك شافعٍ و مُشفَعُ × يغشى محبَّك يمينهُ¹ وأمانهُ
 وعليك يا خير الأنام تحيةً × كالروض صاحح رَوْحهُ ريحانهُ
 ممن يزورك خطُّه وكلامهُ × إن لم يزرك لذنبه جثمانهُ²

وقال غيره:

نزل المحيِّجُ بمكَّة × بين الصفا والمروة
 وسعى وطاف وقبل ال × حَجَرَ الذي في الكعبة
 وأتى المقامَ مُصليًا × فجرت مدامعُ مقلتي
 حُجوا وزاروا المصطفى × وأنا طردتُ لشقوتي
 لكن رجائي قوله × لا تقنطوا من رحمتي³

وقد دندن كثيرون على هذا النغم وأداروا الكلام عليه، وأبلغ في ذلك أبو زيد الفازازي المكاسي، - ونسبه المقرئ لابن الجنان الإشبيلي ثم المراكشي (توفي في عشر الخمسين وستمائة) خطأ - بقوله: "كتبته يا رسول الله وقد رحل المجدون وأقت، واستقام المستعدون وما استقامت، وبينني وبين لثم ثراك النبوي، ولمح سنك الحمدي، مفاوز لا يفوز بقطعها إلا من طهر دنس ثوبه، بماء توبه، وستر وضم عييه، بظهر غيبه؛ فكلمنا رمت المتاب رددت، وكلما يمت الباب صددت، وقد أمرنا الله تعالى بالحيء إليك، والوفادة عليك، ومن لي بذلك يا رسول الله والآثام تُنني وتبعد، والأيام لا تدني

¹ - الأزهار: أمنه.

² - آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي: 37؛ أزهار الرياض: 30/4 - 31.

³ - معجم السفر: 172.



ولا تُسعد، وبين جنيّ أشواقٍ لا يزال يهزنيّ منها المقيمُ المُتعدّد، ولئن كنتُ ممن خلقتُهُ عيوبه، وأوبقتُهُ
ذُنُوبُهُ، ولم يُرضَ للوفادةِ وهو مدّس، على ذلك المقام وهو المطهّر المقدّس، فعندي من صدقِ محبتك
وحبِّ صحبتك، والاعتلاقِ بدمتك، ما يقدّمني وإن كنت مبطنًا، ويقربني وإن كنت مخطئًا¹.

وفي نفس المرمرى يسدّد ابنُ خاتمة بالقول:

إليك يا ملجأَ الرَّاجينَ قد نزعَتْ × نوازعُ بي إن تُستقصَ لا تُقسِ
من سَفحِ دمعٍ بسفحِ الخلدِ مُطرِدٍ × وقدحِ وجدٍ بطيّ الصدرِ مُنعكسِ
ونهبِ شوقٍ أباحِ السُّقمَ منهبيّ × فالجسمُ في تعبٍ، والقلبُ في تعسِ
فهلُ سبيلٌ تؤدّي حلفَ قاصيةٍ × إلى مقرّ الهدى من روضةِ القدسِ
يا ليت شعري وأيامي تُبطني × ومن سقته كؤوس العجز لم يكسِ
هل أكلُّ الجفنُ من تربٍ به عبَق × وأرشفُ الثغرَ من إظلاله اللّيسِ
وأبلغُ الخلدَ من تعفيره وطراً × شوقاً لموطئ نعلٍ طاهرٍ قدسي
إليك يا ربّ شكوى مُبعدٍ قعدت × به الخطايا فلم ينهض ملتمسِ
غرته غرةٌ دنيا بالصبا فصبا × وأستهته تهوين الهوى فنيّ
يا ربّ رُحماك في تبليغِ مأربه × فلطفك اللّطف في تيسيرِ كلِّ عسي²

- المقدور:

¹ - نفع الطيب: 425/7. وهي في مجموع آثار الفازازي منسوبة له لا لابن الجنان فليحرر.

² - ديوان ابن خاتمة: 34-35.



ويجمع كل ما مرَّ من البواعثِ وغيرها ما سطرته يدُ العناية في سابق الأزل، من الصَّوارف والقواطع؛ ولذلك ليس يُفصح بعضُ المنشئين وممارسي القريض عن علةٍ تخلفهم عن ركب الحجيج، على أنهم سالمون من معهودٍ ما يمنع فتناً عريضةً من الناس، فتراهم يُجملون الأسبابَ في القدرِ المقدور، الذي يأتي على العلل الظاهرة والباطنة، وإليه نظرَ ابن الخطيب السلهماني (ت 776هـ) عند قوله في قصيدٍ ضمنه السلام على القبر الشريف، وحمله ركب الحاج:

تخلف مني ركب طيبة عانيا × أما آن للعاني المعنى بأن يفدى
مخلف سربٍ قد أصيب جناحه × وطرن فلم يسطع مراحا ولا مغدى¹
وما هو إلا الشوق ثار كمينه × فأذهل نفسه لم تب عنده قصدا
ورمت نهوضا واعتزمت مودعا × فصدني المقدور عن وجهتي صدا²

إلى أن قال:

نشدتُك يا ركبَ الحجاز تضاءلت × لك الأرضُ مهما استعرض السهبُ وامتدا
وجم لك المرعى وأذعنتِ الصوى × ولم تفتقد ظلًا ظليلا ولا وردا
إذا أنت شافهت الديار بطيبةٍ × وجئت بها القبر المقدس واللحدا
وأنست نورا من جناب محمدٍ × يجلي القلوب الغلف والأعين الرمدَا
فنب عن بعيد الدار في ذلك الحمى × وأذر به دمعا وعقر به خدا
وقل يا رسول الله عبدٌ تقاصرت × خطاه وأضحى من أحبته فردا
ولم يستطع من بعد ما بعد المدى × سوى لوعةٍ تعتاد أو مدحةٍ تُهدى

¹ - نفع الطيب: 453/6.

² - نفع الطيب: 452/6.



إلى كم أراني في البطالة كإنعاً × وعمري قد ولي ووزري قد عدّا
تقضى زماني في لعل وفي عسى × فلا عزمة تمضي ولا لوعة تهدا
حسام جبان ككها شيم نضله × تراجع بعد العزم والتزم الغمدا
ألا ليت شعري هل أراني ناهداً × أقود القلاص البدن والضامر النهدا
إلى أن أحط الرحل في تربك الذي × توضع ندّا ما رأينا له ندّا
وأظنيء في تلك الموارد غلتي × وأحسب قرباً مهجة شكّت البعدا¹

وهذا العجز أو ما يقوم مقامه من القواطع المتباينة، عبّر عنه أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت 544 هـ) بقوله يخاطب الذات المحمدية: <عدتني العوادي عن التشنّي بقصد قبرك ومزارك، وقطعت بي القواطع عن التشرف بمشاهدة مشاهدك الشريفة وآثارك>²، فلم يملك قاضينا تبعاً لذلك، سوى <رُقعة تشكو بثّ التبريح، وتحية خفيفة الحمل طيبة الربح>³، أو كما عبّر الشاعر المغربي -ونقله في المعسول- مخاطباً الرسول الأكرم:

ولما نأيت ولم أستطع
أسير لحضرتكم بالقدم
سعيتم إليكم برجل الرسو
ل وخاطبتكم بلسان القلم⁴

¹ - نفع الطيب: 453/6-454.

² - أزهار الرياض: 17/4.

³ - أزهار الرياض: 26/4.

⁴ - المعسول: 190/10.



وعزَّ الإِسْعَافُ بِالْحَجِّ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَسْكَرِ الْعَسَّانِيِّ الْمَالِقِيِّ (ت 638 هـ)، فَأُودِعَ

صَاحِبَهُ ابْنَ سَعِيدٍ أبا الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى (ت 685 هـ) آيَاتاً لِيُنْشِدَهَا عِنْدَ الرِّوْضَةِ فَفَعَلَ: [وافر]

عَلِيٌّ إِذَا أَتَيْتَ ثَرَى مُحَمَّدٍ × صَلَاةُ اللَّهِ لَا تُعْدُوهُ سَرْمَدٌ

فَقَبْلَهُ وَقُلِّ صَبٌّ غَرِيبٌ × بِأَقْصَى الْغَرْبِ أَمْكٌ وَهُوَ مُقْعَدٌ

أَرَادَ زِيَارَةَ فَنَنَاهُ عُدْرٌ × وَكَمْ سَيْفٍ جُرَازٍ وَهُوَ مُغْمَدٌ

فَإِنْ مَنَعَ الْمَسِيرَ أَتَاكَ مِنْهُ × سَلَامٌ طَيِّبٌ أَبَدًا يُرَدَّدُ

وَمُدْحٌ لَا يَزَالُ بِكُلِّ حِينٍ × مِنْ الْأَدَابِ كَالدَّرِّ الْمُنْضَدِّ

أَقْمَتُ وَأَنْتَ تَرْحَلُ يَا ابْنَ مُوسَى × لَقَدْ نَلْتَ السَّرُورَ وَظَلْتَ مُكْمَدًا¹

ومن أبداع البواعث ما نجده عند الأديب الوزير أبي بكر الكُتُنْدِيِّ الْمَالِقِيِّ (507 - 584 هـ)،

فقد اعتاص عليه أن يرى النبيَّ في النوم، وعدّه قسوةً من قلبه، وإبلاسا من ربه، ورام أن تكتحلَّ

عيناهُ برؤيا سيِّدِ الأرسال، إن لم يكن جهرَةً في اليقظة، فلا أقلَّ من النوم، ودهاه من ذلك أمرٌ

عظيم، فكتبَ إلى الحضرة الشريفة:

إلى أبي القاسم المختارٍ من مضرٍ × حنَّتُ له الجذعُ قبلي فَازَ بِالْكَرَمِ

أَنَامَ مَلءٌ جَفُونِي لَا يَمِثُّ لِي × فِي نَوْمَةٍ فَكَأَنَّ الْعَيْنَ لَمْ تَمَّ

فَالنَّفْسُ فِي يَأْسِهَا مِنْكُمْ مُوَهَّجَةٌ × لَيْسَتْ مِنَ الْأَمَلِ الْأَسْنَى عَلَى أَمِّمٍ

كَمْ رُمْتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرْتَبَةً × لَوْ كُنْتُ أَمَلُ أَنْ أَلْقَاكَ فِي الْحُلْمِ²

¹ - اختصار القدح المعلق: 130.

² - أعلام مالقة: 109.



:

:

- أن إرسالها شركة بين الخاصة والعامة:

اطردَ عند عموم النّقدة العالمين بالأدب الرفيع، أنّ زهراً أفنانه لا يتداني قطافه لعوامّ الناس، وأنه مخصوصٌ بالجلّة السابقين، وقد شدّد عن هذا الحكم فنّ الرسالة الموجهة للنبي صلى الله عليه وسلم، فاصطلح على المساهمة فيه الكافّة، فأدلى فيه خاصّةً الخاصّة برشاً طويلاً، ومن ثمّ لا بدع أن جرت عادة المملوك المغاربة أن يُصحّبوا من علا قدحهُ في المعارف والمكارم في حجاز ياتهم، رسائل للنبي يُنشئها هؤلاء على ألسنتهم أو ينشئونها بأنفسهم "يؤكدون فيها ولائهم وإخلاصهم للجناب النبوي ويتضرعون إلى الله في حل أزماتهم"؛ فمن ذلك صنيعُ أبي عنان المريني (ت 759 هـ) مع كاتبه أبي القاسم محمد بن يحيى الغساني البرّجي (ت 786 هـ)؛ حسبما أفاده ابن الخطيب في الإحاطة والنفاضة. ورسالةُ أبي زكريا الحفصي (ت 647 هـ)¹، ورسالةُ أبي القاسم العزفي أنشأها عنه أبو القاسم خلف القبوري (ت 704 هـ)²...

وكان للخاصّة من العلماء قرصٌ في العرس، فاستفاض لديهم سلوكُ هذا النهج؛ ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد الغساني الوادي آشي (547-609 هـ)، ذكر ابنُ عبد الملك المراكشي أن له "رسالةً بديعةً" تشتمل على نظم ونثر، كتب بها إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم³. ونجدُ عند مُنقَلَبِ الذّود، العامّة أيضاً، ينفسون على العلماء هذه المبرّة، فيشاركونهم فيها، فقد نقلَ المقرّي (ت 1041 هـ) أن أحد

¹ - البيان المغرب: 527/4-530.

² - رسائل ديوانية من سبتة: 87-96.

³ - الذليل والتكلمة: السفر 5/ق 1: 178.



القرطبيين من عامتهم يدعى عبد الله بن عبد الحق الصيرفي، كتب إلى الحجرة النبوية كتابا تولى عظيم تنيقه ابن أبي الخصال.

ومن أعجب ما وقع في هذا المعنى، قصيدةٌ حجازيةٌ، تولى صياغتها إبراهيم بن سهل الإسرائيلي (ت 659 هـ؟)، ووجه العجب أن شبهة الشوقٍ لقبر النبي منقطعةٌ عند من لا يؤمن به، على القول الأشهر في عدم إسلام ابن سهل¹، وتذهب الحيرة حين نعلم أن الذي بعثه على ذلك، أمرُ أبي علي بن خلاص الثائر بسبته؛ ونصها:

وركبٍ دعتهم نحو يثرب نيةً × فما وجدت إلا مطيعا وسامعا
يسابقُ وخذ العيسِ ماءً شؤنهم × فيفنونَ بالشوقِ المدى والمدامعا
إذا عطفوا أو رجعوا الذكر خلتهم × غصونا لدانا أو حماما سواجعا
تضيءُ من التقوى حنايا صدورهم × وقد لبسوا الليلَ البهيمَ مدارعا
تكاد مناجاةُ النبي محمدٍ × تمُّ بهم مسكا على الشمِّ ذائعا
قلوبُ عرفنَ الحقَ فهبي قد انطوت × عليها جنوبٌ ما عرفنَ المضاجعا
تخلصَ أقوامٌ وأسلمني الهوى × إلى عللٍ سدت عليَّ المطالعا
خذو القلب يا ركبَ المجاز فإنه × ثوى الجسمُ في أسرِ البطالةِ كانعا
مع الجمرات ارموا فؤادي فإنه × حصاةً تلقت من يد الشوق صادعا
وخطو رجائي في رجاء زمزم الصفا × وخلوا المنى تجمع غليلا وناقعا²

¹ - وقع في نفع الطيب (524/3)، قول أبي الحسن بن سمعت الأندلسي يقول: شيطان لا يصحان؛ إسلام ابن سهل، وتوبة الزمخشري".

² - اختصار القدح المعلى في التاريخ المعلى: 79-80.



ولم نزل إلى عهد قريب، نرى بعض فقهاء أسرتنا وذوي الشفوف من شيوخنا يبعثون إلى الحجرة النبوية بمكاتبات تنزفُ الماء، وتنفضُ حمما، وقد كنت رأيت عمي وأستاذي سيدي محمد الكبير أصحب الوالد منصرفه إلى الحج، رسالة قرأها على المقام النبوي، واستغربت الأمر حينها، ثم عرفت بتراخ أن ذلك من معهود صنائع الأندلسيين، ولسنا عن نسبتهم بمدفوعين.

- اتّضاع صورة المرسل:

ومن مواصفات هذه الرسائل، انحاء رسم المرسل، دليلاً على اتّضاع شأنه في سياق التوجّه بالخطاب، وفراراً من الوقوع في سوءة التقدم بين يدي الله ورسوله، ولذلك يقترن في الغالب اسم صاحب الرسالة مُردفاً بأوصاف التحقير والتصغير، حتى بدا أنه لولا ضرورة التعريف، لأبهم أصحاب الرسائل أسماءهم، إذ عادة المفضول أن يُذكر ذاته في حضرة الفاضل، فكيف إن تعلق الأمر بسيد الوجود، وأفضل كل موجود. وتأسيساً على هذا، لما اضطرّ أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغينيّ السوسي (ت 1089 هـ)¹، إلى الإعراب عن نفسه، عبّر بقوله: <من عبدك الفلاني فلان ابن الفلاني>، ثم عزّز ذلك في مواطن متفرقة بأوصافٍ من قبيل: <العبد الفقير> و<المنذوب العاصي> و<المنحائف الهيمان>². وقبله عبّر ابن الجنان بقوله: <من العبد المنذوب المخطي، المسرع بأمله المبطي>³، ثم قال إثر كلام طويل: <كتبه عبدك المستمسك بعروتك الوثقى، اللاتذُّ بحرمك الأمنى الأوقى، المتأخر جسماً المتقدم نطقاً: فلان! والسلام عليك يا رسول الله تسليماً كثيراً ورحمة الله تعالى وبركاته>. وهو عين ما نجده في رسالة لأبي القاسم العزفيّ (ت 677 هـ) كتبها عنه خالف الغافقي القبتوري (615-704

¹ - ن طرفاً من ترجمته في المعسول: 185/10-202.

² - المعسول: 190/10.

³ - الذيل والتكلمة: السفر 5/ق1: 289؛ الإعلام للتعايجي: 138/10.



(هـ)، وفيها: " من عبده المستنقذ من هوة الردى بنور هُداة، المعتمِ بِسنته التي وفقه الله لاتباعها وهداه الوافد بقلبه وحيه، وإن حال مُمتدُّ البعد بين شخصه وبين قُربه، على رَفِيع مُنتداه، الرَّاغِبِ إلى الله تعالى في زورةٍ تنقَعُ غلَّةَ اشتياقه إليها وتبُلُّ صداه، المُعترفِ بالعجز عن شكر ما أولاه، من المِنَن الجسيمةِ وأسداه، المُهدي له من صلواتِ الله الزكية، وتحياته العِقة الذكِيَّة، أفضلَ وأكملَ ما بعثه مَحِبُّ شَيْقٍ وأهداه، المَبسوطِ إليه في الشفاعة له عند ربّه واستِيهابٍ ما أسلفَ من ذنوبه يَداه، المتوسِّلِ به إلى مَنْ هو أكرمُ الخلق عليه، وأحظاهم وأرضاهم لديه، في إنجاده على جهادِ عِداه، فلان" ¹.

ولم يجيء ابنُ المرباطِ الدلائِيّ (1099 هـ) شيئاً إِدّاً حين احتدى هذا السبيل فقال: "من عبيدك المصدق بنبوتك ورسالتك، المتعلق بزمامك، الطامع في كفالتك، حامل راية العُفّة المذنين، المقرّ بالتقصير فيما جئتُ به عن رب العالمين، المُعترفِ الغابِط، محمد الشهير بابن المرباط" ².

وقبل الدلائِيّ صرّح أبو الحسن حازم القرطاجني (ت 684 هـ) باسمه في رسالته، لكن مجرداً عن كلّ حلية، مستقيلاً من كلّ حول:

قف بين قبرِ محمدٍ والمنبرِ × وقل: السلامُ على السراج الأَنورِ

والثم ثرى قبرِ النبيِّ محمدٍ × وبذلك العَفْرَ الأَسْرَةَ عَفْرَ

واستنشِ طيبَ نسيمةِ وأنعمَ به × واجعله خيرَ ذخيرةٍ للمُحسِرِ

واشفعْ صلاتكَ بالسلامِ وصلهُما × أبدأً على الهادي البشيرِ المنذِرِ

وانعمَ بنفحةِ جنةٍ عَدَنِيَّةٍ × وتروّ فيها من نعيمِ الكُوثرِ

¹ - رسائل ديوانية من سبته في العهد العزفي: 92.

² - زهرة الوسائل في المدح والرسائل: مخ ع ك: 3179.



وانظر إلى أثر كريمٍ مخبرٍ × عن خير عينٍ واعتبر واستعبر
 واحمل تحية حازم بن محمد × لمقامه الأعلى الشريف الأكبر
 وقل السلام عليك يا خير الورى × من عبدك الأدنى الضعيف الأصغر
 من مرتج بك فتح باب مرتج × من أوب توب بالقبول مبشر
 مستنزلٍ جميلٍ عفواً إليه × عن سالفات ذنوبه مستغفر
 واستنش طيب نسيم طيبة في الصبا × وأسأل نسيم الريح عنها يخبر
 وإذا نظرت إلى سنى إشراقها × فأهل شكراً للإله وكبر
 وانظر بمسجده محل سجوده × وإلى مقام قيامه فيه انظر
 وانظر لأكرم هالة قد أهدقت × أنوارها بضياء بدرٍ مقمر
 صلى عليه الله ما صدع الدجى × بضيائه فلق الصباح المسفر¹

- مخاطبة الرسول خطاب الحي:

إمعانا في التلبس بمقام الشهود، وتنزيلا للشوق المستعر منزلة الزلنى الموزنة بحجور رسم البون الشاسع، والشقة البعيدة، وأمثلة هذا الضرب كثيرة، فلنقتصر منها على قول ابن أبي الخصال: "وغير عزيز على من شفعك يوم القيامة، وأقطعك دار المقامة، وأعطاك لواء الحمد والكرامة، أن يجمع لي بك بين الشفاعتين، ويوتيني في الدنيا بلقياك، وفي الآخرة بسقياك الحسنين.."².

¹ - قصائد ومقطعات: 139، ر: 23.

² - أزهار الرياض: 28/4.



ومن قبيله قول القبتوري: "كتب إلى حضرته المقدسة الأرجاء...الوارد عليها بقلبه وإن أقام جسمه بأقصى المغرب وثوى، عن نفسٍ خامرٍ لحمها ودمها يا رسول الله فيك الحب، وقلب إليك يا خير مبعوث إلى العرب والعجم يلتاع ويصب، وضلوع نار الأسي أثنائها للبعد عنك تشب، وكبد تُنتهب أفلاذها كلما يسري نسيم ذكرك الأعطر لها ويهب، وأجفان عفا رسم كراها دمعها الهامي قطره المنصب، وحرص على الإمام بربوعك المطهرة يتفتى على مرّ الجد يدن ويشب، ومحافضة بأقصى الاستطاعة على طاعتك التي قرننا بطاعته الرب...وقليل في حقمك يا إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، دمع يفضح سوارِي المزنِ وغواديه انهماله وانهماره، وغليل لا يبرح القلب لفتح واريه وأوراه، وبث لا يخلع عن الجسم أو يتاح المثل بمشاعرك المعظمة شِعاره، ووجد تبدو في صفحات الحدود المخذدة آثاره، وصبر بحكم النزوغ انفصال شمله وانتثاره..."¹.

- صدق الرغبة:

وهذا الملمح بادٍ من خلال الدمع السّاح، والنفس اللاخ، والشوق الطاغ؛ ولذلك تضجُّ هذه الرسائل وتلك المقطعات بصدق العاطفة وجموحها؛ وبعضها زفّرات حية انتقلت من عالم الحس إلى عوالم المعنى؛ كقول ابن الغمّاد متشوقاً:

في كل عام أرجي زورة معكم × فتنهضون وشأني دونكم ثقل
لو خفّ ظهري لكان الجسم مرتحلاً × لكنّ قلبي أمام الركب مرتحل
يحدو به وجدّه والشوق سائقه × وكيف يدنو كلال منه أو ملل
وا حسرتاً فآز غيري بالوصال إلى × أرض الحبيب ودوني سدّت السبل

¹ - رسائل ديوانية من سبّعة في العهد العزفي: 92-93.



متى ينادي بي الحادي يبشرني × بَشْرَاكَ - يا مغربي - انزل فقد نزلوا
 إنزل بطيبة طاب العيش قد ظفرت × به يداك فلا خوف ولا وجل
 عبد له أنا إن نادى وبشرني × وأنت حر إذا بلّغت يا جمل
 قلبي بحب رسول الله مشغل × يا ويح قلب له عن حبه شغل¹

- تنزيل زيارة خط الرسالة، محل زيارة صاحبه:

وفيه يقول الفازازي: "ومن نأت به الدار وقعدت بعزمه الأقدار ثم زار خطه ولفظه فقد عظم نصيبه من الخير وحظه"².

:

- مقدمات الرسائل، طائفة بذكر دلائل نبوته ومجالي معجزاته:

ويلاحظ في جميع الرسائل أنها تقدم بين يدي النجوى، طائفة منسوقة من دلائل نبوته ومعجزاته، تنبي عن اقتدار في معرفتها لأول الأمر، ثم رصفها في قالب بياني لآخره، وهي بهذا الاعتبار آخذة بدرو غير يسير من الخوض في المعرفة السيرية، وهي معرفة لم يتخلف عن التحقق بها أي من الذين هجموا على هذا الجنس الأدبي؛ ومن مثله قول ابن الخطيب السلّاني من رسالة هي من أوعب ما خط في هذا الشأن، وارتفعت دالتها في سلم الإجادة والبيان، كتب بهت إلى التربة المقدسة، عن مخدومه أبي الحجاج بن أبي الوليد بن نصر: "إلى رسول الحق، إلى كافة الخلق، وغمام الرحمة الصادق البرق، الحائر في ميدان اصطفاء الرحمن قصب السبق، خاتم الأنبياء، وإمام ملائكة السماء، ومن وجبت له النبوة وآدم بين الطين والماء، شفيع أرباب الذنوب، وطبيب أدواء القلوب، ووسيلة الخلق إلى علام

¹ - أزهار الرياض: 33/4-34.

² - آثار أبي زيد الفازازي: 39.



الغُيوب، نبي الهدى الذي طَهَرَ قَلْبَهُ، وَغُفِرَ ذَنْبُهُ، وَخَتَمَ بِهِ الرِّسَالَةَ رَبُّهُ، وَجَرَى فِي النَّفُوسِ مَجْرَى
الأنفاسِ حُبُّهُ، الشَّفِيعِ المَشْفَعِ يَوْمَ العُرْضِ، المَحْمُودِ فِي مَلَأِ السَّمَاءِ والأَرْضِ، صَاحِبِ اللِّوَاءِ المُنشُورِ
يَوْمَ النُّشُورِ، والمُؤْتَمِنِ عَلَى سِرِّ الكِتَابِ المَسْطُورِ، وَمُخْرِجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، المُؤَيَّدِ بِكَفَايَةِ اللهِ
وَعِصْمَتِهِ، المُوَفَّرِ حَظَّهُ مِنْ عِنَايَتِهِ وَحُرْمَتِهِ، الظَّلِيلِ الخَلْفَاقِ عَلَى أُمَّتِهِ، مَنْ لَوْ حَازَتِ الشَّمْسُ بَعْضَ
كَمَالِهِ مَا عَدِمَتْ إِشْرَاقًا، أَوْ كَانَ لِلآبَاءِ رَحْمَةٌ قَلْبُهُ ذَابَتْ نَفُوسُهُمْ إِشْفَاقًا، فَائِدَةُ الكَوْنِ وَمَعْنَاهُ، وَسِرِّ
الوُجُودِ الَّذِي يَبْهَرُ الوُجُودَ سَنَاهُ، وَصِنِّي حَضْرَةَ القُدْسِ الَّذِي لَا يَنَامُ قَلْبُهُ إِذَا نَامَتْ عَيْنَاهُ، البَشِيرِ
الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ البُشْرَى، وَرَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى، وَنَزَلَ فِيهِ ﴿سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾، الأَنْوَارِ
مَنْ عُنْصُرِ نَوْرِهِ مُسْتَمَدَّةً، والآثَارُ تُخَلِّقُ وَآثَارُهُ مُسْتَجَدَّةً، مَنْ طُويَ بِسَاطِ الوَحْيِ لِفَقْدِهِ، وَسُدَّ بَابُ
الرِّسَالَةِ والنَّبُوَّةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْتِيَ جَوَامِعَ الكَلِمِ فَوَقَفَتْ البَلْغَاءُ حَسْرَى دُونَ حَدِّهِ، الَّذِي انْتَقَلَ فِي العُرْرِ
الكَرِيمَةِ نَوْرُهُ، وَأَضَاءَتْ لِمِيلَادِهِ مَصَانِعُ الشَّامِ وَقُصُورُهُ، وَطَفَقَتْ المَلَائِكَةُ تَجِيئُهُ وَفُودُهَا وَتَزُورُهُ،
وَأَخْبَرَتْ الكُتُبَ المُنزَّلَةَ عَلَى الأنبياءِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَخَذَ عَهْدَ الإِيمَانِ بِهِ عَلَى مَنْ اتَّصَلَتْ بِمَبْعَثِهِ
مِنْهُمْ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، المَفْرَعِ الأَمْنَعِ يَوْمَ المَفْرَعِ الأَكْبَرِ، وَالسَّنَدِ المَعْتَمَدِ عَلَيْهِ فِي أَهْوَالِ المَحْشَرِ، ذِي
المُعْجَزَاتِ الَّتِي أُثْبِتَتْهَا المَشَاهِدَةُ وَالْحَسُّ، وَأَقْرَبَهَا الجِنُّ وَالإِنْسُ، مَنْ جَمَادٍ يَتَكَلَّمُ، وَجِدْعٍ لِفِرَاقِهِ يَتَأَلَّمُ،
وَقَمْرٍ لَهُ يَنْشَقُّ، وَحَجْرٍ يَشْهَدُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ الحَقُّ، وَشَمْسٍ بَدَعَاتِهِ عَنْ مَسِيرِهَا تُحْبَسُ، وَمَاءٍ مَنْ بَيْنَ
أَصَابِعِهِ يَتَبَجَّسُ، وَغَمَامٍ بِاسْتِسْقَائِهِ يَصُوبُ، وَطُوى بَصَقَ فِي أُجَاجِهَا فَأَصْبَحَ مَأْوَاهَا وَهُوَ العَذْبُ
المَشْرُوبُ، المَخْصُوصِ بِمَنَاقِبِ الكَمَالِ وَكَمَالِ المَنَاقِبِ، المَسْمُومِ بِالحَاشِرِ العَاقِبِ، ذِي المَجْدِ البَعِيدِ المَرَامِيِّ
والمَرَاتِبِ، أَكْرَمِ مَنْ بَعِثَتْ إِلَيْهِ وَسِيلَةُ المَعْتَرِفِ المَقْتَرِبِ، وَنَجَحَتْ لَدَيْهِ قُرْبَةُ البَعِيدِ المَغْتَرِبِ، سَيِّدِ
الرِّسْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المَطْلَبِ، الَّذِي فَازَ بِطَاعَتِهِ المَحْسَنُونَ، وَاسْتُنْقَذَ بِشَفَاعَتِهِ المَذْنُوبُونَ،



وسَعِدَ بِاتِّبَاعِهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمَعَ بَرَقٌ، وَهَمَّعَ وَدَقَّ، وَطَلَعَتْ شَمْسٌ، وَنَسَخَ الْيَوْمُ أَمْسٌ¹.

- الإفصاح عن اسم المترسل، بعيد تحليته بصفات التذلل والخضوع والضعف، وانسفال الحال.
- الإمام بحال البلد والأمة، والشكو مما ارتكس إليه جاهلها، وتردى إليه ناسها، وما علقوا به من أحوال، وامتهنوا به من فساد وسوء حال.

- التبري من حال المترسل في العادة، من ادعاء الإجابة، بل التنصل من ذلك ديدن كل كاتب، وهجيري كل منيب وتائب، فهم عن بكرة أبيهم عراة عن معرفة الظهور، تلافياً لما يسام به مسيء الأدب مع النبي من قصم الظهور.

- وصف حال المنشئ حين يأذن ركب الحجيج بالرحيل، من انسجام العبرات، وتوالي الحسرات، واعتقاد الضعة والدون في نفسه، لأنه لو كان من الرضا على حال قبول، لفك قيده، وسبق إلى مطلع القافلة وفده، وكل ذلك مشعل أوارى النفس، موقظ للحزن، موف بصاحبه لولا وقاية الله إلى هلكة.

- الإمام غالباً بمعجم الحج والثبج، وغالبهم يأسف أنه لم يحج، فيأتي على ما كان يسعه لو فعل من أعمال النسك والزيارة، بعضهم على ترتيب المناسك، وبعضهم بحسب ما اتفق هنالك. وتمثل له بقول ابن جابر الوادي آشي:

إي والذي ما زال يسري جاهداً × حتى أتى ميقاته وما ونى

فقدّم الغسل وصلّى ونصّا × أثوابه مستغفراً ممّا جنى

ثمّ نوى مليّاً ثمّ مضى × حتى رأى ذات السناء والسنى

¹ - ربحانة الكتاب: 57/1-58.



ثم أتى بابَ بني شيبَةَ قد × أبصرَ ما أَمَلَ قَدماً قد دَنَا
 فقبلَ الركنَ وطَافَ وسعى × ثم مضى مُرْتَحِلاً نحو مِنَى
 ثم أتى الموقفَ يدعو راغباً × حتى إذا ما نَفَرَ القومُ انثنَى
 ثم رمى ثم أفاض وانبرى × مُعْتَمِراً قد نال غاياتِ المُنَى
 ثم مضى مُرْتَحِلاً فيمن مضى × ميمماً طيبة لا يشكو العنا
 يبغى التي شرفها الله بمن × شاد به الدين القويمَ وابتنَى
 فلم يكن ممن إذا حجَّ جفا × بل يَمَّ القبرَ وزارَ واعتنى¹

وكل الرسائل التي تبعث إلى الحجرة أو إلى المغاربة المقيمين بالحجاز تستعير معجم الحج
 ومناسكه، فتأتي على تسمية محالِّه وأركانه، بل وترتيب بعض أعماله، ويمثل المنشئ نفسه بين هاتيك
 المغاني، فينزِّل المأمول منزلة النَّاجز، ويُنيط الخيال، بما عجزَّ عنه للحال، ويمثل له بطرف من رسالة أبي
 بكر ابن مُغاوير الشاطبي إلى رفيق له بالحجاز مقيم: "كيف حالك؟"، "وإلى مَ أَدَاكَ تَرَحَّالك، هجرت في
 الله تعالى أرضاً، وقضيت من زيارة البيت العتيقِ فُرْضاً، وأتيت من الواجبات المُوجِبَات ما يتقبلُ
 الله تعالى ويرضى، فأعتصمت من وقايتِه المانعة بجنَّة، والتحفت من آلائِه السَّابِغَة بمنَّة، وتقربت
 بحجِّ مبرورٍ جزاؤه كما قال عليه السلام الجنة، علمٌ حُطَّ في الكُتاب وأنتم في بطون أمهاتكم أجنَّة، فهنيئاً
 لك ما أسلقت، ومغفوراً لك ما أسرفت، غسلت صحيفتك بماءٍ وثلج، وأربحت ميزانك بعجٍّ وثجٍّ،
 ولحجت ومن لَجَّ حجَّ، فكيف أئمت بتلك المشاعر الكرام، والمشاهد المعظَّمة في الجاهلية والإسلام،
 ومن حيثُ أهللت وليدت، وخلعت المَحيطَ وتحفيت، وطُفَّت وسعيت، وهل حلقت أم لبَدت
 فأهديت، وهل كبرت مع كلِّ جمرة حين رميت، وهل لُثمت الحجر حين وصلت إليه، أم أشرت

¹ - نفع الطيب: 321/7.



وقد زُوِّجَتْ عَلَيْهِ، وَمَتَى أَحَلَّتْ وَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبُ، وَتَأَوَّدَتْ وَغُصْنُ جِدْعِكَ رَطِيبٌ، فَيَا لَكَ حَدِيثًا
كُلَّ مَا رُدِدَ يَعْذُبُ وَيَطِيبُ، وَأَحْمَدُ بِسَعْيِكَ حِينَ اسْتَقْبَلْتَ الْكُعْبَةَ الْمُسْتَدَارَ بِهَا الْقِبْلَةَ، وَشَرِبْتَ مِنْ
مَاءِ زَمْزَمَ وَمَاؤَهَا لِمَا شَرِبَ لَهُ، وَزُرْتَ بِطَيْبَةِ دَارِ الْهَجْرَةِ وَمَقَرِّ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةَ قَبْرَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
الْمَجْتَبَى، وَقَبْرِي صَاحِبِيهِ خَلِيفَتِي الرَّضَى وَالْهَدَى، وَتَقْفَيْتَ آثَارَهُ السَّنِيَّةَ، وَتَسَنَّمْتَ كُلَّ حَزْنٍ هُنَاكَ
وَنَيْيَّةً، وَجَدَدْتَ فِي التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِدْعَاءِ أَخْلَصَ ضَمِيرٍ وَنِيَّةً، وَصَلَّيْتَ فِي مَسْجِدِهِ الْمُبَارَكِ فِي
مَوْضِعٍ مُصَلَّاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَحَنَنْتَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي حَنَّ الْجَدْعُ فِيهِ إِلَيْهِ...¹.

وإن من المنشئين من يتربص الفرصة ليستغل معرفته بالسياق المعجمي الحجازي، دلالة على
تفننه في المعارف الفقهية، ومن قبيله أن أبا زيد الفارازي كتب إلى واحد من أصحابه يدعى ابن
معروف؛ وهو يتشوق إليه: "أفنى الشَّيْبَةَ عَالِمًا أَوْ عَامِلًا، وَرَأَى فِي حَجَّتِهِ الْمَبْرُورَةَ وَزِيَارَتِهِ الْمَشْكُورَةَ
كُلَّ مَا كَانَ آمِلًا، وَحَلَّ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ الشُّوقِيَّةِ وَالْمَطَالَعِ الشَّرْقِيَّةِ بِكُلِّ طَائِلٍ... إِنْ عَايَنْتَهُ رَأَيْتَ
ظَرْفًا مَمْلُوءًا ظَرْفًا، أَوْ بَاحِثَهُ لَمْ تَفْقُدْ مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ الْمَطْهَرَةِ حَرْفًا، فَكَأَنَّكَ تُعَايِنُ... مَكَّةَ وَبَهْجَتَهَا،
وَالْعُمْرَةَ وَحَجَّتَهَا، وَالتَّلْيِيَّةَ وَضَجَّتَهَا، وَالْكَعْبَةَ وَسَنَاءَهَا، وَزَمْزَمَ وَمَاءَهَا، وَالرُّكْنَ وَمِيزَابَهُ، وَالْحَرَمَ وَأَبْوَابَهُ،
وَالطَّوَافَ وَأَسْبَاعَهُ، وَأَبَا قُبَيْسٍ وَارْتِفَاعَهُ، وَالْبَابَ وَعُرْوَتَهُ، وَالصِّفَا وَمُرْوَتَهُ، وَالْكَسُوءَ وَجَلْوَتَهَا،
وَالدَّارَ وَنَدْوَتَهَا، وَعِرْفَةَ وَمَشْعَرَهَا، وَمِنَى وَمَنْحَرَهَا، وَالْمَوْقِفَ وَأَرْيَجَهُ، وَالْحُجَيْجَ وَجَيْجَهُ، وَالْدَّمُوعَ
وَإِذْ سَكَابَهَا، وَالضَّلُوعَ وَالتَّهَابَهَا، وَالْعَقْبَةَ وَحُجْرَتَهَا، وَالْبَطْحَاءَ وَعُمْرَتَهَا، وَالْعِرَاقَ وَجَمُوعَهَا، وَالْعَجَمَ
وَشَمُوعَهَا، وَبَدْرًا وَكَثِيبَهُ... وَالْعَقِيقَ وَأَشْرَافَهُ، وَالنَّخِيلَ وَالتَّنْفَاهُ، وَطَيْبَةَ وَطَيْبَهَا، وَقَاضِيَهَا وَخَطِيئَهَا،

¹ - نور الكأتم وسبع الجمائم: 220 - 221.



والرّوضة ونورها، والمدينة ودورها، والمسجد وزواياه، والمنبر وبقاياها، وقُبَاءَ وَقَبْتَهُ، وسَيِّدَ الشَّهَدَاءِ وَتُرْبَتَهُ، والبقيع وسكّانه، وأُحْدًا وَأَرْكَانَهُ"¹.

- أن الرسائل النثرية مشفوعة غالباً بقصيدة تقدمها أو تتأخر عنها.

- أن الرسائل حافلة بفنون الاقتباس من القرآن والسنة.

- أن غالبها يختتم بالدعاء والتصلية.

! " # \$ % &' (\$

بعض الرسائل الموجهة للنبي صلى الله عليه وسلم، وإن احتجنت جميع عناصر الجنس الأدبي، إلا أن في اندراجها ضمن رسائل الحجرة النبوية، تسامحاً كبيراً، لخروجها عن الخطّ الموضوعي، وارتباطها بغرضٍ تقليدي كالمذبح المجرد، كما هو الحال عند ابن المرباط الدلائي في زهرة الوسائل، فقد تخلّص بعدَ التقدّم إلى نظم السيرة في رائية طويلة، ومن ثمّ خلت الرسالة في النظر الجمليّ من الحرارة الوجدانية، وبدا أنها ليست كتابةً اضطراريةً ينفتح صاحبها فيها ما اضطرّم في نفسه من الإحساس بالضعف والضعف والخشية من سوء المآل والترقب، وإنما هي أشبه بالتمرين الفني الذي يحتفل الكاتب فيه بإظهار معرفته، وقدرته على الإحاطة بأساسيات فن معين كالسيرة، وهذه أقلّ حظوة عند القارئ؛ لأنها لا تقع في التماهي مع انتظاراته، ولا تفلح في إسقاط الإحساس الفردي على إحدائيات الشُّعور الجمعيّ.

¹ - آثار أبي زيد الفازازي: 105 - 107.



ومن أشعار التشوق إلى الروضة المقدسة الطاهرة، ما يجري مجرى الرسالة، لولا أن قصدَ الجنس

الأدبي بعينه غيرُ واردٍ عند منشئها؛ ومنه قول ابن لبّال الشريشيُّ (ت 583 هـ):

سلامٌ ولا أقرأ سلاماً على هند × صرفتُ إذا مسرّاي عن مسلكِ الرشدِ

على قمر لو أطلعتَه يدُ الثرى × لقصر عن لألائه قمر السعد

وأرّبي على نور الغزالة نوره × كما يفضل الحرّ الكريم على العبد

فطاب به تربُ الضريح بطيبه × فيعقب عن مسك نديّ وعن نديّ

ويضحك عن روض تداني يد الصبا × به صفحة السوسان من صفحة الورد

فطوبى لمن أضحى يمرغ لوعة × بتربه ذاك القبر خدّاً إلى خدّ

نبيّ عليه من تالؤ نوره × تالؤ برق أسرجته يد الرعد

نما من قريش في ذؤابة هاشم × فما شئت من فضل عميم ومن مجد

سلام عليه ما تغنت حمامة × وفاح ذكي المسك من جنة الخلد

وما أنشد المشتاق إن هبت الصبا × <ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد¹>²

ومنه أيضاً قصيدة لابن الأبار القضاعي (ت 658 هـ)، نظمها ببلنسية، يعزو تأخره عن

الزيارة إلى عوز العون من التقدير، ويتمنى لو قيض له أن يصلي في الحجرة الشريفة، ويكرع من ماء

زمزم - طعام طعم وشفاء سقم - ثم يتخلص بعد ذلك ليهني الفائزين بالسبق إلى زيارة القبر

الشريف، محملاً إياهم أداء سلامه وتشوقه واستشفاعه:

لو عن لي عون من المقدار × لهجرت للدار الكريمة داري

¹ - صدر بيت للمجنون، مجزه: "لقد زادني مسراك وجدا على وجد".

² - المطرب من أشعار أهل المغرب: 97؛ ابن لبّال الشريشي، لابن شريفة: 81.



وحللتُ أطيَبَ طِيبَةٍ¹ من طِيبَةٍ × جاراً لمن أوصى بحفظِ الجار
وركعتُ في صحنٍ هنالك طَاهِرٍ × وكَرَعْتُ في مَعْنٍ هنالك جاري
حيث استنار الحقُّ للأبصار × لما استنارَ حَفَائِظُ الأنصار
لكنَّ عليَّ لها أداءُ الفرضِ من × طولِ النزاعِ وشِدَّةِ التَّنْكَارِ
يا زائرِين القبرِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ × بشرى لكم بالسبقِ في الزُّوارِ
أوضَعْتُمُ لِنَجَاتِكُمْ فوضَعْتُمُ × ما آدَمُ من فادِحِ الأوزارِ
فوزوا بسعيكم² وفُوهُوا بالذي × حَمَلْتُمُ³ شوقاً إلى المختارِ
أدوا السلامَ سَلِمْتُمْ وِبرِدِهِ × أرجو الإجارة من وُروُدِ النارِ
ثم اشفعوا لي فالشفاعة عنده × فيها أبوأُ رتبةُ الأبرار⁴

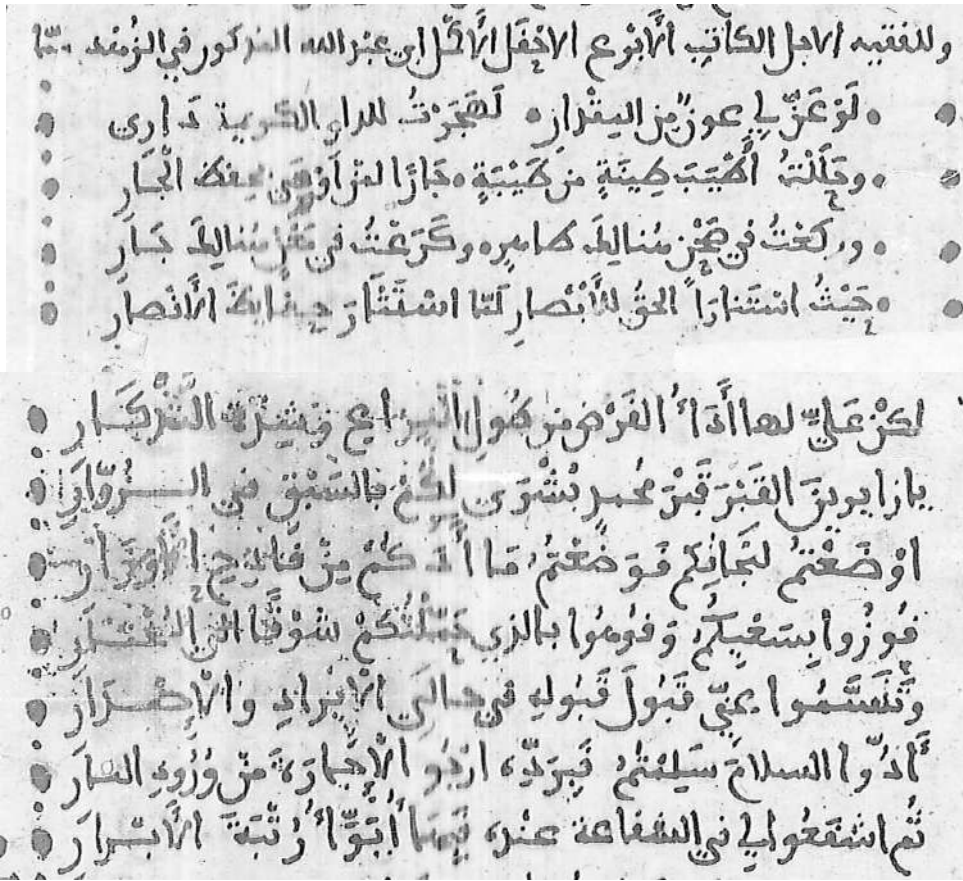
1 - النفع: "طيبة".

2 - النفع: "بسببكم".

3 - النفع: "حملتم".

4 - مظاهره السعي الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل: 80-81؛ نفع الطيب: 593/2-594؛ والأبيات 3، 5، 9؛

مزيدة في كتاب ابن الأبار.



ومن الغريب الذي يندرج في هاته البابة على وجه نادر، قصيدة وجهها أبو محمد عبد الله ابن فرحون المالكي (ت 769 هـ)، يشكو للنبي حاله، ومنشأ الغرابة أنه مجاور في المدينة المنورة، قاب قوسين من مكة المكرمة، مثلها يفصح عنه عنوان الوضع الذي ضمنه قصيدته، وهو "نصيحة المشاور، وتسلية المجاور"، ويُعلم ما عاقه عن قصده في سياقها:

إليك رسول الله من عبدك الذي × تعوق عن مغناك ن فتك ضربة

إليك رسول الله أشكو مصيبيتي × وشدة أهوال أطافت بمهجتي

أغاروا على نفسي سحيرا بمدية × لإتلاف روعي بل لإذهاب جثتي

يريدون أن يخفوا لنور أممه × إلهي فما استطاعوا فباؤوا بحجية

ألست مقيما في جوارك سيدي × وقبلي أبي سبعين عاما بطابة

ألا يا محي الحبيب محمد × ومن جاوروا المختار في عز نعمة



وقولوا أخ يا رب عيق ببيته × وأمننا فاقبله معنا بمنة
لئن كنت قهرا قد تأخرت عنكم × فقلبي فيكم شاهد بمودتي
عراص لها نفسي قد اشتد شوقها × وحق لنفسي أن تضاعف زفرتي
لئن عاقني عنكم بلائي فلم أحج × فذاك على قلبي أشد رزية
وقد زرتها نحسين حجا وعمرة × فما زادني إلا حفيل محبتي
فيا رب هلا دعوة في مشاعر × أعل بها حينما محاجر مقلتي
أرى زمزما بعد الحطيم وأهلها × وميزاب بيت الله حتى بطوفة
فأدعو بقلب مخلص في مقامه × وملتزم مستعظفا لشكيتي¹

ومما يجري مجرى الرسالة على سبيلٍ من الاشتباه، قول أبي جعفر ابن الزيات الكلاعي

البشي (ت 728 هـ):

سلامٌ على قُطْبِ العُلَى والمكَارِمِ × سلامٌ على سِرِّ الهُدَى والمعالم
سلامٌ على مَنْ رَفَعَ اللهُ قَدْرَهُ × وأَبْرَزَهُ كَالشَّمْسِ فِي آلِ هَاشِمٍ
سلامٌ على المَبْعُوثِ للنَّاسِ رَحْمَةً × وأَعْلَى رُؤُوفٍ² بِالْأَنَامِ وَرَاحِمِ
مُحَمَّدٍ [الْأَسْنَى] العَلِيِّ مَكَانَةً × فَقَدْ فَاقَ فِي العُلِيَاءِ كَلَّ العَوَالِمِ
[فَإِنْ طَالَ يَوْمٌ]³ كَانَ أَفْضَلَ صَائِمٍ × وَإِنْ طَالَ لَيْلٌ كَانَ أَكْرَمَ قَائِمِ
وَإِنْ كَانَ عِيٌّ فَهُوَ أَفْصَحُ قَائِلٍ × وَإِنْ كَانَ جَوْرٌ فَهُوَ أَعْدَلُ حَاكِمِ

¹ - نصيحة المشاور: 334-336.

² - ص: "رؤف".

³ - ما بين المعكفين مُحَوِّ في الأصل، واقترحننا ما يساوقه مما تراه.



فِي مَعْصِمِ التَّخْصِيصِ أَبْدَعَ دُمْلَجٌ¹ × وَفِي خَنْصِرِ التَّشْرِيفِ أَحْسَنَ خَاتَمِ
 نَحْرٍ لِمَرَاهِ الْأَهْلَةِ سَجْدًا × كَمَا تَتَّقِي بُؤْسَاهُ عَلِيَا الضَّرَاغِمِ
 سَأَلْتُكَ يَا حَادِي النَّيَاقِ إِذَا بَدَّتْ × هِضَابُ قُبَاءِ الْمُرْتَضَاةِ الْمَرَامِ
 وَفَاحَتْ هُبَيْبَاتُ النَّسِيمِ كَأَنَّمَا × شَذَا الْمَسْكَ مَعْجُونٌ بِتَلْكَ النَّوَامِ
 فَزَمَرِمٌ بِأَشْوَاتِي وَوَجْدِي وَزَفَرْتِي × وَكَمْ رِقَّةٍ فِي طَيِّ تَلْكَ الزَّمَاوِمِ
 وَبَادِرٍ لِتَسْلِيمِي عَلَى خَيْرِ مُرْسَلٍ × حَبِيبِ قُلُوبِ الْمُتَّقِينَ الْأَكْرَامِ
 وَقُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَبْدٌ تَبَاعَدْتُ × بِهِ عَنْكَ زَلَّاتٌ وَسُوءٌ مَائِمِ
 يُؤْمَلُ أَنْ تَغْشَاهُ مِنْكَ جَوَاذِبٌ × تُخَلِّصُهُ مِنْ مَوْبِقَاتِ الْجَرَائِمِ
 أَلَا فَاشْهَدُوا أَنِّي أَحَبُّ مُحَمَّدًا × بِقَلْبٍ عَلَيْهِ الشُّوقُ ضَرْبَةٌ لَازِمِ
 أَفْتَتْ فِيهِ الْقَلْبَ وَجَدًا وَلَوْعَةً × وَأَبْرَأُ فِيهِ مِنْ مَقَالِ [اللَّوَائِمِ]²
 وَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يُمِدَّ مَدَامِعِي × عَلَيْهِ بِأَمْثَالِ الْغُيُومِ السَّوَاغِمِ
 فَحُبُّ رَسُولِ اللَّهِ أَعْلَى وَسِيلَةٍ × لَنَا وَهُوَ شَرَعًا مِنْ أَحَقِّ اللَّوَاوِمِ
 أَبْنَتْ لَكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنَا وَاجِدٌ × بِحُكْمِ التَّشْنِئِي لَا لِرَفْعِ الْمَحَاكِمِ³
 وَكُلُّكُمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَغْرَمٌ × بِهَذَا الْحَبِيبِ الْمُسْتَنِيرِ⁴ الْمَبَاسِمِ
 فَصَلُّوا عَلَيْهِ مَا حَيَّيْتُمْ وَسَلِّمُوا × عَلَيْهِ لِتَنْجُو مِنْ أُمُورِ عِظَائِمِ

¹ - بعض حروفها ذاهبة.

² - غير بيّنة.

³ - لعلها كذلك.

⁴ - لم نتحققها في الأصل.



سلامٌ عليه كلما هبت الصبا × وناست رفاق [الغصن]¹ تحت الخمام
 [سلامٌ عليه من أُنحي² صباية × [إليه معنى]³ ساهر الطرف هائم
 وبعد سلام الله يترى عليكم × بمثل شذى زهر الرياض النواجم
 ولي عندكم يا عصابة الفضل حاجة × تقلقل ما بين الله والحيازم
 دعاؤكم أن يغفر الله زلتي × ويسلك بي سبل الرجال الأعظم
 بنى⁴ لكم ذو العرش في ساحة الرضى × محلاً كريماً سرمدى الدعائم
 وجنّبي ما يوجب الطرد إنه × كريم بإسداء العطايا الكرائم⁵

ولنا أن نقول إن غالب شعر المدحة النبوية عند المغاربة والأندلسيين يتضمّن معنى الرسالة،
 وقلّما تنفّلت هاته القصائد من إसार البنية الثلاثية: مقدّمة تشبي بحال المنشئ وشطوط المزار. يتلوها
 صلب القصيدة في ذكر شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته. ثم خاتمة بها جماع أمانى الشاعر
 وانتظاراته، يسوقها مساق الخطاب المباشر للرسول الأكرم؛ وغالبا ما يذيلها بدعاء ضارع لله جل وعزّ.
 ومن هذا النمط قول المقرئ النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن الصائغ:

بعد المزار ولوعة الأشواق × حكّا بفيض مدايح الآماق
 وخفوق نجدى النسيم إذا سرى × أذكى لهيب فؤادي الخفّاق

¹ - مخرومة في الأصل، ولعلها ما اقترحنا.

² - لا تبدو من هذه العبارة غير أحرف قليلة.

³ - غير بيّنة في الأصل.

⁴ - ص: "بنا".

⁵ - خ: 240 ظ - 242 ظ.



أُعَلِّي أَنِّ التَّوَّاصِلَ فِي غَدٍ × مَن ذَا الَّذِي بَعْدَ فَدَيْتِكَ بَاقٍ
 إِنَّ اللَّيَالِيَّ سَبَقَ إِنَّ أَقْبَلَتْ × وَإِذَا تَوَلَّتْ لَمْ تُنَلِّ بِلِحَاقٍ
 عَجَّ بِالْمَطِيِّ عَلَى الْحِمَى سَقَى الْحَمَى × صَوَّبَ الْغَمَامَ الْوَاكِفِ الرَّقَاقِ
 فِيهِ لَذِي الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَدَادُهُ × لَا كَانَ فِي الْأَيَّامِ يَوْمَ فِرَاقِ
 يَا سَارِيًّا وَاللَّيْلُ سَاجٍ عَاكِفٌ × يَفْرِي الْفَلَا بِنَجَائِبِ وَنِيَاقِ
 عَرَّجَ عَلَى مَثْوَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ × خَيْرَ الْبَرِيَّةِ ذِي الْمَحَلِّ الرَّاقِي
 وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَنْ لَهُ × حَفِظَ الْعُهُودَ وَصَحَّةَ الْمِيثَاقِ
 الظَّاهِرُ الْآيَاتِ قَامَ دَلِيلُهَا × وَالظَّاهِرُ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْرَاقِ

ومنها بعد كثير، مضمون الرسالة:

يَا ذَا الَّذِي اتَّصَلَ الرَّجَاءُ بِحَبْلِهِ × وَأَنْبَتَ مِنْ هَذَا الْوَرَى بِطَلَاقِ
 حُبِّي إِلَيْكَ وَسَيْلَتِي وَذَخِيرَتِي × إِيَّيَّيَّ مِنَ الْأَعْمَالِ ذُو إِمْلَاقِ
 وَإِلَيْكَ أَعْمَلْتُ الرُّوَاحِلَ صُمْرًا × تَخْتَالُ بَيْنَ الْوَاخِدِ¹ وَالْإِعْنَاقِ²
 مُجْبَأً إِذَا نُشِرَتْ حُلَى تَلْكَ الْعُلَا × تَطْوِي الْفَلَا مُمْتَدَّةَ الْأَعْنَاقِ
 تَحْدُو لَهْنَ مِنَ النَّحِيبِ تَرْدُدٌ × وَتَقْوُدُهُنَّ أَرْزَمَةَ الْأَشْوَاقِ
 غَرَضٌ إِلَيْهِ فَوْقَهَا أَسْهَمًا × وَهِيَ الْقِسْبِيُّ بُرَيْنَ كَالْأَفْوَاقِ³
 فَأَنْخَتُهَا بِفَنَائِكَ الرَّحْبِ الَّذِي × وَسَعَ الْوَرَى بِالنَّائِلِ الدَّفَاقِ

¹ - سعة الخطو وسرعة في المشي.

² - ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ فَسِيحٌ سَرِيعٌ، لِلْإِبِلِ وَالْخَيْلِ.

³ - وَفِي السَّهْمِ فُوقَهُ: وَهُوَ مَوْضِعُ الْوَتْرِ مِنْهُ وَالْجَمِيعُ أَفْوَاقٍ.



وَقَرَى مُؤَمَّلِكَ الشَّفَاعَةَ فِي غَدٍ × وَكُنِيَ بِهَا هَبَةً مِنَ الرَّزَاقِ

وَعَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْأَنَامِ تَحِيَّةً × تُحْيِي النَّفْسَ بِنَشْرِهَا الْفَتَاقِ

تَتَأْرَجُ الْأَرْجَاءُ مِنْ نَفَحَاتِهَا × أَرْجَ النَّدِيِّ بِمَدْحِكَ الْمِصْدَاقِ¹

ويلحق به قول أبي القاسم محمد بن إبراهيم التجيبي؛ من قصيدة -وهي مبسوطه-:

يَا صَاحِ إِنْ جِئْتَ الْخِيَامَ يَبْثُرُ × وَثَوَيْتَ مِنْ ذَلِكَ الْحِمَى بِمَكَانِ

وَسَرَيْتَ فِي تِلْكَ الْأَجَارِعِ² وَالرُّبَى × وَجَرَّتْ فِي وَادِيهِ فَضَلَ عِنَانِ

فَانْشُرْ لَوَاءَ مَحَبَّتِي بِفِنَائِهِ × وَافْضُضْ هُنَاكَ خَوَاتِمَ الْكُتْمَانِ

وَاشْرَحْ قَضِيَّاتِ الْهَوَى وَأَقِمْ عَلَى × صَدَقِ الْمَحَبَّةِ وَاضِحَ الْبُرْهَانِ

وَافْتَقِ بِأَرْبَعِهِ تَحِيَّةَ مِسْكَةٍ × عَنْ ذِي اغْتِرَابٍ نَازِحِ الْأَوْطَانِ

وَائْتُمْ بِطَيِّبَةِ قَبْرِ مَنْ حُبِسَتْ لَهُ × شَمْسُ النَّهَارِ وَخُصَّ بِالْفُرْقَانِ³

رابعاً: تنبيهات:

أولاً: خلو الأدب الصوفي من هذا التمثط:

بدا لي بعد إنعام النظر أن هذه الرسائل قسمة بين صنفين من الناس: العلماء والأدباء؛ وأما

المتصوفة وأرباب الأحوال فقلَّ عندهم هذا الضرب، لعددهم الشوق من منازل العوالم؛ وهو في

¹ - الكتيبة الكامنة: 88-90.

² - الأجرع: أرض حزنة تسني عليها الريح رملاً فيغشاها والجمع الأجرع.

³ - الكتيبة الكامنة: 303.



شَرَعَتْهِمْ: هبوبُ القلبِ إلى تمني غائبٍ يحضر، وإعوازُ الصبر عن فقدِه. فيروُنُه من أضعف منازل القوم، وذلك لأنَّ خواصَّهم يرون أنَّ الشوق إنَّما يكون إلى غائب، ومذهبُ هذه الطائفة إنَّما قام على

المشاهدة:

ولا معنى لشكوى الشوقِ يوماً × إلى من لا يزولُ عن العيانِ

أودِعْكُمْ وأودِعْكُمْ جَنَانِي × وأُسَيْلُ عِبْرَةٍ مثل الجُمَانِ

ولو شاء الإله لما اقترقنا × ولكن لا خيار مع الزمان²

وقد عبَّر عن هذا المذهب بأجلى من هذا، أبو العباس ابن العريفِ دفين بلدنا في التعلُّل

لنفسه بأنَّه وإن لم يَزِرِ النبي بجسمه، فقد زاره بروحه؛ وذلك قوله:

شَدُّوا الرِّحَالَ وقد نالوا المنى × وكلهم بأليم الشوق قد بأحا

راحتُ ركائبُهُم تندى روائِحُها × طيبا بما طاب ذاك الوفدُ أشباحا

نسيم قبر النبي المصطفى لهم × رَاحَ إذا سكرُوا من أجله فاحا

يا راحلين إلى المختارِ من مضر × زَرْتُمُ جُسُومًا وزرنا نحن أرواحا!

إنَّا أقمنا على شوقٍ وعن قَدَرٍ × ومن أقام على عذرٍ كمن راحاً³

¹ - محاسن المجالس: 93.

² - محاسن المجالس: 94.

³ - التكملة لكاتب الصلة: 211/3؛ رت: 523.



- ثانيا: وجود ضربٍ من هذه الرسائل، يعبر عنه برسائل الشوق المجدد إلى الحجرة النبوية:

عهدنا أن جملة الرسائل المرفوعة للحضرة المصطفوية، تصدر عن أعجزه القيام للزيارة، أو حيل بينه وبينها بمثل ما ذكرناه قبل، غير أنني ظفرت برسالة إلى النبي، كتبها منشيها الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم ابن الجد، على لسان أحدهم بعد القفول من زيارة النبي الكريم، والتمتع من تلك الآثار بالشميم، وهي بديعة في معناها؛ فمنها: <ولما صدرت يا رسول الله عن زيارتك الكريمة، وقد ملأت هيبتك ومحبتك أرجاء فكري، وفضاء صدري، وغشيتني من نور برهانك ما بهر لي، وعمر قلبي، لحقني من الأسف لبعد مزارك، والحنين إلى شرف جوارك، ما أودع جوانحي التهاباً، وأوسع جوارحي اضطراباً، وأشعر أمني عوداً إلى محلك المعظم وإياباً، وكيف لا أحن إلى قربك، وأتهالك في حبك، وأعفر خدي في مقدس تربك، وبك اقتديت فاهتديت، ولولاك ما صمت ولا صليت، ولا سعيت ولا طفت.....>¹. إلى أن يقول: <اللهم كما أعنتني على حج بيتك المحرم، وزور نبيك المكرم، فاجعله لي شفيعاً، وتوفني على ملته مطيعاً، ويسر لي كربة إلى مواطنه المقدسة ورجوعاً، إنك على ذلك قدير، وبحقيقة دعائي عليم خبير، والسلام المردد المؤكد على نبي الرضوان، وصفي الرحمن، ما تعاقب الملوان، وتناوب العصران>².

والظاهر أن حرارة الشوق إلى مغاني نجد، تستوي عند من حرم الزيارة رأساً، ومن ردف له الحج ثلاثاً وثمناً، فهما سواء في الأذكار والتحنان ودلائل الشوق، وتمثل بعض قصائد ابن رشيد السبتي حكاية لما يجيش في صدور العائدين من تشوق عند ذكر الحج أو ركبه أو دخول وقته؛ فله من

¹ - الذخيرة لابن بسام (ط الدار العربية للكتاب): ج 1/ق 2: 287.

² - الذخيرة لابن بسام (ط الدار العربية للكتاب): ج 1/ق 2: 288؛ (ط دار الغرب: 221/2-222).



قصيدة وقع له نظمها في موسم عام سبعةٍ وثمانين وسبع مئة، وقد سمع ما هيَّج الشوقَ المقلق من النداء على سفر بعض المراكب إلى بلاد المشرق، قالها يتشوق فيها لتلك المعاهد:

هاج اذكاري بنعماني بنعمانٍ × فبتُّ يُجِدُنِي وَجَدِي وَتَحَنَانِي
يا وقفَةً نلتها والسعدُ يسعدُنِي × كانت كطيفٍ سرى في طرفٍ وسنانٍ
جديدٌ تذكّرها في القلب إن بليت × معاهدٌ ليس يبليه الجديانِ
أهوى الحجاز وإن لم يُمس لي وطناً × ولم يكن أهله أهلي وجيراني
طاف السقاة على شرب الهوى فدعوا × باسمي فلباهم دمي وأشباني
قالوا النهوض فقلتُ العدمُ أقعدني × قالوا التصبرُ قلتُ الشوقُ أفناني
يروى الحجيحُ وي من زمزمٍ ظمأً × يا بعد ما بين ريانٍ وظمانِ

إلى أن يقول:

حتى قضينا بها ما سنّ من قربٍ × رمياً وحلقاً وتقريباً لقربانِ
وإذا قضينا بتطوافٍ مناسكاً × طفقتُ مسحاً بأستارٍ وأركانِ
ثمّ اثنتين وقد تمت شعائرنا × نبغي مَبوّاً أنصارٍ وإيمانِ
سرنا نميلُ على الأكوان من طربٍ × فما ترى في ذراها غيرَ نشوانِ
تشدو بذكر الذي في القلب منزله × سيانٍ عندي إسراري وإعلاني
للمصطفى المُجتبي المختار من مضر × والقلب من شوقه ما بين نيرانِ
تُهدي الرياح لنا روحاً فنحسبها × جرّت على المسك منها فضلَ أردانِ
أهدت لنا طيبةً من طيبها أرجاً × نسيمه نمّ عن روجٍ وريحانِ
وحين لاحت لنا من طيبة قُبِّ × زواهرُ هي والجوزاءُ سيانِ



وبينها القبة الغراء سامية × تعلق على أوج بهرام وكيوان
 تشفى بأنوارها رمد العيون إذا × رنت لها فهي والبيضاء ضدان
 لله عيناً فتى لاحت له فتوى × بحيث قرّت له بالغرب عينان
 ملنا نحييه والإجلال يوقفنا × والشوق يزج ما يئنيه من ثان
 فظلت أهنر من وجد ومن وله × والدمع ما بين تسكاب وتهتان
 وألثم التراب من شوق لساكنه × تهوى المنازل من إجلال سگان
 وإن أضع أدياً فالصفح ملتمس × إني بقلب من الإعظام ملان
 من ذا يرى ربع محبوب فيضبر عن × لثم وتعفير خد فعل ولهان¹

ومن الشعراء من تُحرقه لوعة الفراق ولما يرجع بعد من زورته، فيكشف عن ضعف
 اصطباره، وتفصح مقطعاته عما تعد به لواعجه من أشعار في التثوق عن بعد؛ حكى ابن الحاج
 النيرى فقال²: "أنشدنا الرئيس الفاضل أبو الفضل بن أبي مدين أبقاه الله لنفسه، وقالها عند وداع
 النبي صلى الله عليه وسلم:

كيف اصطباري لبعدي بعد أن وصلت × حبلي بجبك أيدي الدهر فاتصلا
 لولا تخلف قلبي في دياركم × لكانت الروح منه عندكم بدلا"

¹ - ملء العيبة: الجزء السابع: 215-219.

² - قطعة الإسكوريال رقم 483: 29 ظ.



اسرنا الرئس العاقل ابو العظيمة مبنارنا، لسه لنعيم وانها عسر
 ودماع طيبه على الله عليم
 كيب امطركنا لبعر عرار طرا جبا بحبر ابو الرئس ما نصلنا
 لولا علب قلينيه دباركم انا نبتا ارح منه عجب نزلنا نركا

كاش النيري: الإسكوريال رقم 483: 29 ظ.

ثالثا: وفور أشعار الحض على الزيارة:

وهي انفعال تلقائي بما يجده كثير من الناس من شوق إلى موافاة تلك المغاني تقطعه
 الصوراف، فلا يجد الشعراء والمترسلون بدا من التنفيس عن كرباتهم بدعوة من ساعدته يد العناية،
 إلى البدار والتعجيل، وفيه تنزيل الآخر منزلة الذات، وتحويل وإسقاط يخفف من حدة الحرمان.
 ومن هذا الضرب قول أبي جعفر أحمد ابن قادم القرطبي يحض على زيار قبر النبي - صلى

الله عليه وسلم: [كامل]

شدوا المطي إلى الرسول وعرجوا × وإليه منهجكم فنعم المنهج
 يا مرتجي حط الذنوب بزورة × إقرع، فما باب الزيارة مرتج
 وليخبطن مشمرا بعضا السرى × منك القلا متأوب أو مدلج
 فعسى يناحك النسيم بنفحة × من طيبة ذات الشدا يتارج
 فإذا حطت الرجل في أكافها × فهناك تظفر بالنعيم وتبلج
 في فتية نسبو المطي إلى الونى × ظلما، وإن كانت تحب وتمعج
 تسري وقد قرنت حواجب ليها × حتى يلوح لها الصباح الأبلج¹

¹ - الذيل والتكلمة: 616/1، ر: 669.



) # , + * :

- لم يزر، فأعاد الحج:

أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن محمد المرادي (ت 618 هـ): كان تاجرا بسوق العطارين من غرناطة، وكان من أهل الدين والخير، حج سنة تسع وسبعين وخمس مئة، وانصرف ولم يزر النبي عليه الصلاة والسلام لأمر منعه، وانصرف إلى غرناطة، فعظم عليه ما فاته من الزيارة، ورأى أن ذلك من الجفاء، فحج ثانية وزار النبي صلى الله عليه وسلم...¹.

- تُؤنسيُّ رأى النَّبيِّ في المنامِ يَسْتَبْقِيهِ في المدينة، فلم يرجع إلى أهله:

وهو محمد بن محمد... أربعة عشر اسماً كلهم محمد. قال الصّفدي: لم أعلم ذلك إلا في اسم أبي البركات أيمن بن محمد المعروف بعاشق النبيّ التونسي، أتى إلى المدينة النبويّة، والتزم أن لا يدخل الحرم إلا بعد أن ينظم قصيدةً يمدح بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وتوفي بالمدينة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة، وكان قد عزم على العود إلى وطنه، فرأى النبيّ صلى الله عليه وسلم في المنام، وهو يقول له: يا أبا البركات، كيف ترضى بفراقنا؟ - أو ما هذا معناه -، فقعد وبطل الحركة إلى أهله².

ونظير هاته الحكاية عند المشاركة ما أخبر به القبتوري في رحلته، من أن الشيخ أبا الحسن عليا الواسطي، كان "ما انقطع عن الحج والزيارة مدة حياته، فسأله أهله أن يقيم معهم ويدع الحج سنة واحدة، فلما عزم على ذلك، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم. فقال له: يا علي؛ عزمت على الإقامة عنا. فقال: سألني الأهل في ذلك. فقال له: إن أفتت عنا أفننا غيرك مقامك. فلما

¹ - الإحاطة (نصوص لم تنشر): 182؛ ر: 197.

² - التذكرة الصلاحية (خ).



استيقظ عزم على الحج والزيارة في ساعته، وسأل الله تعالى أن يجعل قبره ما بين الحرمين الشريفين، فتوفي ما بين بدر وحنين رحمه الله تعالى¹.

وليست هاته الرؤى المنامية مما يُقطع به على حكم خارج نفس الرائي، ولكنها من المبشرات التي اعتادها الصالحون، واستأنسوا بها في الثبات على ما هم بسبيله من الطاعة والمراقبة، على أن رؤيا المتأهل المستحق للنبي صلى الله عليه وسلم، ليست محل ارتياب، لصحة الحديث الوارد بذلك.

- بعض الشعراء استغرقوا شعرهم في مدح النبي ومحابته:

إن نددت مجاميع المديح عن جمع التكثير، فإن من الظواهر الملفتة في تاريخ أدب المديح النبوي، اختصاص بعض الشعراء بالتبريز في فنّ الحجازيات ورسائل المدحة إلى الوجهة النبوية الوجهية، وقصر دواوينهم عليها؛ ومن هؤلاء الشاعر الموحدّي ابن الصباغ الجذامي، فقد أكثر في ديوانه من رسائل الشوق، وعكف على مدح النبي على جهة الاختصاص؛ وهو القائل:

تركت امتداح العالمين ولذت من × مدائح خير الخلق بالعروة الوثقى

سأجعلها كهني وحصني وملجئي × لعلّي بالأمداح أستوجب العتقا

وأشدو بها في كل نادٍ مُردداً × أطارح في شجوي وأشجاني الورقا²

وقد انتشرت الحجازيات ورسائل الشوق النبوي في تضاعيف ديوانه حتى شكّلت عظم مادته، وندر أن تخلو قصيدة من شجى التذكار وتحميل الركب أو الحداة أو الرياح سلاماً للنبي صلى الله عليه وسلم، ولن يكون من شأن هاته العجالة أن تضمّ أشتات المقاطيع التي ضمت أضرباً من ذلك،

¹ - تاج المرفق: 243/1.

² - ديوان ابن الصباغ الجذامي: 9.



لأنها تكاد تستغرق الديوان برمته، فلنكتف بنموذج دالّ، وليُقَسَّ على ما لم يُقَسَّ¹. فنه في "تلبية المحادي لأشرف نادي، وشرح حال الصادي وشوقه المتماذي، وهو مما يحرك القلب المشوق، ويحدو لتلك المعالم ويسوق":

لله حادي الظن ما أشجأه × لما دعا مضنى النوى لباه
 لبي وللزفرات بين ضلوعه × لهب تضرم وقده أمواه
 ذكر العقيق وساكنيه فضرمت × بلهيب أشواق العقيق حشاه
 شام البروق ولم يسقى نهلة × ما كل شائم بارق يسقاه
 يا حسرتا نالوا المنى ونبت به × عما نواه من الوصول نواه
 يا أهل كاظمة نداء متيم × بعد الديار وشخطها أضناه
 رقا لفرط سقام صب مكمد × في أرض طيبة برؤه وشفاه
 في لثم ترب معاهد المختار لو × يعطى المنى مما اشتهاه مناه
 يا أرض طيبة والديار قصبة × إن المعنى طال فيك عناه
 تمر الوصال بدوح روضك يانع × فتي يتاح على البعاد جناه
 حاز السعود وفاز بالعليا فتي × طالت لأرض الهاشمي خطاه
 تالله ما لجلال أحمد في الورى × ند ولا لخلاله أشباه
 الله شرف قدر أحمد في الورى × وأحل في أسنى على مرقيه
 أنى يضاها أو يدانى في العلى × شرف علاء المعلوات بناه

¹ - ن الديوان: 9، ر: 4، 13، ر: 8، 14، ر: 9، 14، ر: 10، 20، ر: 18، 27، ر: 25، 30-31، ر: 29، 55،



فبجبه أرجو غداً من مالكي × كشف المهم من الذي أخشاه

فعليه ما سخ الغمام تحية × من ذي شجون بعده أشجاه¹

- أن بعض منشي الرسائل، ساقوها بلسان الجمع، فوسعوا دائرة المرسل من ذواتهم إلى أن تشمل

أصحابهم وجيرتهم وإخوانهم؛ ومنه أن أبا العباس أحمد بن أبي الربيع الواعظ الإلبيري (ت 432 هـ)،

وهو فقيه محدث أديب، صاغ قصيدة "يبث فيها إلى رسول الله هم ما جرى من الواقعة بقننيس،

عند وقوفه للتسليم عليه صلى الله عليه وسلم: [كامل]

يا خير مبتعث بصدق رسالة × والمستخص بمعجز القرآن

صلى عليك إلهنا عدد الحصى × والقطر، ما عبد الإله أثنان

وعليك من طيب السلام تحية × يهدي إليك جديدها الملوآن

وعلى ضجيعك السلام مردداً × ما ناح ورق في ذرى أغصان

وعليك من أبوي مثل تحيتي × علماً تأكد عنهما تبياني

ومن الدين تركتهم خلفي من ال × أصحاب الإخوان والجيران

فالكل مشتاق إليك وإتما × معزى الجمع وشأنهم من شاني

لكنهم في فتنة قطعهم × وتضرمت كتضرم النيران

إن البرابر والنصارى مكنت × أيديهم فينا بكل هوان

قتلوا الرجال وأيموا أولادهم × وسبوا من النسوان والولدان

فاشفع لنا ولهم إلى الله الذي × هو حسبننا في السر والإعلان

في غمر أسياف الفتون وسلها × في حرب أهل الكفر والطغيان

¹ - ديوان ابن الصباغ الجذامي: 94.



حَتَّى يَعُودَ الشَّمْلُ مُجْتَمِعاً لَنَا × فِي ظِلِّ إِيمَانٍ وَصَدْقِ أَمَانٍ
فَاللَّهُ مَوْلَانَا وَأَنْتَ شَفِيعُنَا × وَبِذَاكَ يُرْفَعُ طَارِقُ الْحَدَثَانِ¹

- ومن الملاحظ الموفية على الغرابة، أن النقدة العالمين بالشعر، أخرجوا مدائح النبي عن مدارات الانتقاد، ولم يفوقوا لها سهامه مفردة، إلا في معرض الموازنة بينها لاشتراكها في ضمائم الفضيلة، ولعلهم فعلوا ذلك بقصد ديني صرف، يرى أن القصيدة التي اتخذت لها النبي غرضاً، لا يصح أن توصف إلا بالإجادة، وأن ليس يصح إعمال مناطات البلاغة وتدرج مقاييسها ثمة، لأن قصد الناظم أرقى من أن تخزمه بوادر العي. ولذلك سكتوا عن إبداء ما يذيلون به المقاطيع في العادة من التنبهات، وغالبهم صرف نفسه عن إيراد ما لا يستجد في نظره فطرحة، فرارا من أن يسوء النبي بقدر مادحه، وهذا هو الذي جعل كثيرا من المؤلفين يوردون في المدائح بعضا من ذلك الضعيف المرذول من جهة الصنعة، اعتمادا على أن الغرض السامي يشفع لصاحبه، ويربأ به عن الانتقاص.

وقد يكون ما تعلقنا به هو السبب الذي حدا بالأقدمين إلى أن يعزفوا عن اختصاص المديح النبوي بالمجاميع الشعرية أو الاختيارات على نحو ما نراه للمحدثين، فإني لم أجد في كتب الاختيارات القديمة كتابا مخلصا لمديح الجناب النبوي، بل إن كبار الرؤوس في عصور الشعر لم يردوا مورد المدحة النبوية إلا لماما، لإدراكهم أن ارتياده لا يعتمد على الشاعرية فحسب، بل تلزمه أمور أخر كالصدق ومثانة الدين... وانظر بعد إلى نموذج البوصيري تراه في ديوانه فسل الشعر منحطه، فلما ارتقى متن النبويات، على قدحه، وجلى فرسه، وكان بإذن الله من السابقين.

¹ - عيون الإمامة: 50-51؛ ر: 13.



- كثير من رسائل الروضة، أتى عليها الاختصار، واقتصر الناس في النقل منها على ما تضمنته من أشعار، فلم يصلنا القسم المنشور، مثلما الأمر عند ابن عسيلة المراكشي أبي الحسن علي بن محمد اللخمي، من أدباء المئة الثامنة، فقد حوى كتابه الوسائل الماثورة والرسائل المذخورة على رسالتين، إحداهما للحرم الشريف؛ ولم يصلنا منها القسم النثري، وكل الذي بلغنا منها قوله:

شوقِي إلى البيت العتيقِ عتيقُ × فيه أنا مهما أزره عتيقُ
 تسري المطايا نحوه طلقاً وما × مثلي لديه من الذنوب طليقُ
 كم أجهلن¹ طريق رُشدي طارقاً × طُرق الضلال وللمنون طُروقُ
 حتى متى للركب ما لي حجةٌ × أو ما أنا بالرشد بعد خليقُ؟
 يا قاصدين إلى الحمى أو ما تروا × قلبي حمياً: ناشج² وحريقُ
 تحدو الهداة بكم لأشرف بقعةٍ × فتحنُّ أجمالاً لذاك ونوقُ
 حتى متى أقفو الرجال مشيعاً × فكأنني الترحال لست أطيعُ
 قد فاز غيري بالمنى وحرمته × والذنب عن سبيل المراد عيوق³
 عز العزاء فليس لي من حيلةٍ × لكن فريقاً للرضا، وفريقُ
 لو كان يُقضى أن أحط بمكةٍ × لحططت وزراً⁴ ثم لست أطيع⁵

1 - خطابٌ لنفسه.

2 - في ط: "حمياً ناشج"؛ خطأ في الضبط اغتر فيه بالأصل، والصواب "حمياً" شديد الحرارة، و"ناشجٌ وحريقٌ" بيان.

3 - كذا، ولم أجد للغويين استعماله بمعنى "عائق" الذي أراده، فعمله من ضرائره المرتكبة. والعَيوقُ "كوكب أحمرٌ

مُضيءٌ بحيال الثريا، إذا طلع علم أن الثريا قد طلعت". من تهذيب اللغة: 19/3.

4 - قرأها محققه "قدراً"، وهو تصحيف.

5 - مجموع ابن الحاج النبيري: 61-62.



سُئِلَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَيْنُ عَيْنٌ فِيهِ أَنَا مَمْنُ الْأَرْزَمِ بِعَيْنِي
 نَسْتَجِدُّ الْمَهَابَةَ نَحْوَ طَلْفَانٍ وَمَطْبَعِ لِرَبِّهِ مِنَ الزُّنُوبِ حَلِينِي
 كَمْ أَحْمَلُنَّ لَهْرِيُونَ شَرَّ كَارِئًا كَهْرًا ضَلَّانٍ لِلْمَنُونِ لَهْرُونَ
 حَتَّى مَنَ الْكَرْبِ مَا لَمْ يَجْعَلْهُ أَوْسًا إِنَّمَا نَالَتْهُ رَأْفَةُ حَلِينِي
 نَا فَاصْدِرِي الرَّحْمَةَ لَوْ مَا تَزَوَّاهُ فَبِهِ جَمَلًا نَا نَجَّ وَحَسْرُونَ
 سَخِرُوا لِلْحُرَّةِ بِكَمْ لَانْتَهَبُ بَعْدَهُ فَيَجْنِي لِحَا الْأَطْمِ وَتَوُونَ
 حَتَّى مَنَ لِقَعْوِ الْجِبَالِ مَشِيْعًا فَكَلِمَةُ الرَّحْمَةِ لَسْتُ أَحْسِنُ
 فَرَدَا زَعْمَهُ الْمَتَانِ حَسْرَتَهُ وَالزُّنْبُ عَنْ سَبْلِ الْمُسْرَادِ مَهْرُونَ
 عَزَّ الْعِزَّ بِلَيْسُ رَيْبٍ مَرَّ حَيْلَةٍ بِالْكَرْبِ سَرِينِ الْأَضَا وَفَسْرِينِ

توكلت على الله العظيم ربنا ورب كل شيء

والرسالة الأخرى للقبر النبوي، وذهب نثرها أيضاً، وقد استفتحتها بالقول:

قَدِمَ الْحَيْجُ فَهَاجَ بَيْنَ ضُلُوعِي × وَجَدْتُ تَمُّ بِهِ دِمَاءُ دُمُوعِي
 تَمْضِي الْغَوَادِي وَالرَّوَاغُ بَعْدَهَا × عَبَثًا وَنَفْسِي فِي هَوَى وَتَزُوع
 هَلَّا لِدَاتِ اللَّهِ كَانَ تَغْرِي × هَلَّا لِنَجِّ الْحَقِّ كَانَ رُجُوعِي
 وَاحْسَرَتَا ضَيَعْتُ عَمْرِي غَفْلَةً × وَالذَّهْرُ بِي قَدْ سَارَ سَيْرَ سَرِيْع
 مَا لِي طُرِدْتُ وَعَادَنِي عَادِي النَّوَى × وَإِلَى النَّصِيحِ غَدَوْتُ غَيْرَ سَمِيْع
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنِّي لَا أُرْتَضَى × وَلَقَدْ أَتَيْتُ بِذَلَّتِي¹ وَخُضُوعِي²

ومن قصيدة أخرى في الرسالة المذكورة:

فَنُ شَاءَ الْهَوَى حَقًّا فَنِي × يُوْرَخُ عَهْدُهُ وَبِي الدَّلِيلُ
 أُطَارِحُ كُلَّ ذَاتِ الطُّوقِ حَتَّى × تَعَلَّمَتِ الْحَمَائِمُ مَا تَقُولُ

¹ - ص: بدليتي.

² - مجموع ابن الحاج التيميري: 62.



فأبكي البعدَ، ذا شَجْنٍ طويلٍ × وما أبكي إذا تُبِكَ الطُّلُوبُ
وما إلا النَّبِيَّ أَجَلَ قُصْدِي × تُرى لِمَزاره يُقْضَى السَّبِيلُ؟¹

دمر العصور والحول

ما نزلع الشجائنة تهادت نوابهم وفن رُج السبرج ما زانا كانم
مور عامر من للجواخ بعام والنام حير لبشر بئنه كلام
فوجره لو جرانى فزير وينيه فرا ونا شخولنا معو معلم
وسان نيمو ساه الشعير فشرابيه اعلمت علم البغير العالِم
وما عصبوا اعلم شعري بولها والنا بيه يلون نيب مكام
ومل في وما بيه عن ما خسر خطير من خطير احسن فتمو نامم
والكث امبعوا للمعان النبى ما معان السور عد المطالب للعالم
فخيم انوار وسرع حله ودار ثوبى صبا النورى للكارم

قطعة من القصيدة المولدية لابن عسيلة المراكشي (الإسكوريال: 1734؛ 42 و)

: - . / 01 23

رسالة من إنشاء أبي الحسين القرشي العامري إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

¹ - مجموع ابن الحاج النميري: 62.



إلى البشير النذير، المبتعث بالترغيب والتحذير، المنقذ من الخيرة والتكبير، الموقظ بالعظة والتذكير، النافع الأردن، المناجى به صاحبُ غمَدان، نبي الرحمة والجنان، والصريح الأبواب من عدنان، عصمة اللائد بكافه، وصفوة الغطاريف من عبد منافه، المبرأ من العاب، المردد الأعراق في الطاب الطاب¹، ديان العرب، وفرّاج الكرب، سلالة عبد المطلب، ومعاذة الزمن الكلب، المنصور بالصبا، المجهز البعث أيدي سبأ، الصادع بما أمر، السافر عما يضمير، الذي قام به الأود، وتعبد بشريعه الأحمر والأسود، سيد البشر، وخطيب المحشر، الموقر المعزز، المؤيد المؤزر، المؤثر بالآية²، المؤيد بالبينات، المتحدّي بالآيات، الطيب الأزرة، الصيب بالغفو عن قدرة، خيرة الله من خلقه، المنجى من الضلال وربقه، الناطق بالبيان، الناسخ للأديان، المجير من الروع والوجل، المرسل على دنو من الساعة وقرب من الأجل، [خير موسى... في الديم]، وسر الفواطم من قرينش والعواتك من سليم، الذي جرى الماء من بنانه متفجراً، وسعت به الناقة الأدماء معتجراً³، وتلجت بحكمته القلوب [...]. وبشر به عيسى ودعا له إبراهيم، المختار من الرفيق الأعلى، الممتار من الرحيق الأعلى، عليه أفضل الصلاة والتسليم، ما استد صائب الكلام، وامتد ثائب الأحلام.

¹ - أخذه من رجز لكثير بن كثير النوفلي يمدح به عمر بن عبد العزيز:

مقابل الأعراق في الطاب الطاب × بين أبي العاص وآل الخطاب

² - الآية للشمس كالهالة للقمر، وهي الدارة حولها. من الصحاح: 2546/6.

³ - الناقة الأدماء: وهي الخالصة اللون والعتق. من تهذيب اللغة: 39/6.



من الطليح¹ الملقى، المتمسك بعروته الوثقى، المهيب الجناح، العريض النزاع والارتياح،
المقتني أثره، المصدق له ولم يره، المنتبذ مكاناً قصياً، المدير على الإمام به زمناً عصياً، المتميز
بكرم صهره، المتحيز إلى عامر بن فهره، المتضرم اللوعة، المتدقق الدمعة، سالم بن محمد بن زمعة.
خَطَطْتُهَا يَا رَسُولَ الْهُدَى، وَعَلَّمَ النَّجَاةَ وَالنَّاسُ سُدى، أَحْرَفًا بَرَّةً، بَلْ أَدْمَعًا ثَرَّةً، شَوْقًا إِلَى
مَخَطِّ ضَرْيَحِكَ، وَوُجُودِ رِيحِكَ، وَشَغْفًا بِمَخَطِّ رِكَابِكَ، وَوُرُودِ كِتَابِكَ، حَيْثُ نَزَلَ الرُّوحُ الْأَمِينُ، وَظَهَرَ
السَّرُّ الْمَكِينُ، وَاقْتَبَسَ النُّورُ، وَتُدْوِرَسُ الْكِتَابُ الْمَسْطُورُ، وَطَابَ الْمَعْرَسُ وَالْمَحْقِيلُ، وَحَظِيَ
الصَّفِيَّانِ مَالِكٌ وَعَقِيلُ، فَوَاهَا ثُمَّ وَاهَا، مَا شَاقَتِ الذِّكْرَى أَوَاهَا، يَوْمَ ظَنَّ الزُّورُ، وَطَلَعَ النَّجْدُ وَهَبَطَ
الْغُورُ، وَاسْتَقَلَّ الرَّائِحُ، وَاسْتَهَلَّ الرَّابِحُ، وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ، وَغُودِرَ رَهْنُ الْحَيِّ يَأْسُ،
وَقَعَدَ حِلْسَ الْبَيْتِ طَاعِمٌ لَابَسُ، لَمْ يَرْحَلْ لِبُغْيَةِ الْمَكَارِمِ، وَلَا أَنْفَ مِنْ مَقَامِ الْمَجْرَمِ الْأَثْمِ، فَيَفُوزَ
بِالْقَاءِ التَّفَثِ، وَيَعُودُ مِنْ شَفَا النَّطْفِ وَالرَّفَثِ، أَمَا إِنَّهُ دَمَعُ جَادٍ، وَعَزْمُ خَلَعِ النَّجَادِ، حِينَ أَنْضَبَتْ
الْمَوَادِّ، وَعُدِمَتِ الرَّاحِلَةُ وَالزَّادُ، وَلَمْ أَسْتَطِعِ السَّيْلُ، وَلَا رِمْتُ الْمَرْتَعَ الْوَيْبِلُ، فَمِنْ أَرْقٍ عَلَى أَرْقٍ،
وَحُرْقٍ غِبَّ حُرْقٍ، وَمَنْ نَفْسٍ يَتَرَدَّدُ، وَقَبَسٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ يَتَوَقَّدُ، أَسْفًا إِلَّا أَكُونَ مِمَّنْ هَجَرَ وَسَرَى،
وَعَقَّرَ خَدَّهُ فِي الثَّرَى، وَلِحِقَ بِخَيْرِ فَرِيقٍ، وَشَهِدَ لِبَالِي التَّشْرِيقِ، وَلَبَّى وَدَعَا، وَخَبَّ فِي بطنِ الْوَادِي
وَسَعَا، وَوَقَفَ بِعَرْفَةٍ، وَسَأَلَ اللَّهَ لَهَا سَقَى طَرْفَةً، وَدَفَعَ إِلَى الْمُزْدَلْفَةِ، وَنَقَعَ صَدَى النَّفْسِ الْكَلْفَةَ،
وَرَمَى وَنَحَرَ، وَاسْتَطَابَ الْأَصِيلَ وَالسَّحَرَ، وَاسْتَلَمَ وَصَدَعَ، وَاجْتَهَدَ فِيهَا اسْتَوْدَعَ، وَاطْوَفَ بِالْبَيْتِ
الْعَتِيقِ، وَاطَّيَّبَ بِمَسْكَهَ الْفَتِيقِ، وَتَقَرَّاهَا مَسَالِكُ، وَتَقَصَّاهَا مَنَاسِكُ، وَعَاجَهَا ذُلًّا رَوَاتِكُ، عَلَى الْمُنِيفَةِ
الْعِمَادِ، الْمَرِيعَةِ الْوَهَادِ، ذَاتِ الظِّلِّ وَالْمَاءِ، وَالتَّخْلِ وَالْقَصْرِ وَالْجَمَاءِ، دَارِ الْهَجْرَةِ وَالْإِيمَانِ، وَمَعْنَى
الْغُبْطَةِ وَالْأَمَانِ، مَنَزَعِ الرَّحْمَةِ وَالتَّسْيَارِ، وَمَنْجَعِ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ، وَمَنْ لِي أَنْ أَزْجَرَهَا أَيَّامِنِ،

¹ - المهزول؛ كناية عن المرض.



وأحُلَّ مِنْ طَيِّبَةِ الْحَرَمِ الْأَمَنِ، فَأَنْزَلَ إِكْرَامًا، وَأَكْبَبَ اعْتِنَاقًا وَالتَّزَامًا، وَأَسْتَأْمِنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ،
وَأَزُورَ الرِّوَضَةَ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ، وَأُصَلِّي مِنْ كَتَبٍ، عَلَى الْمُنْتَجَبِ الْمُنْتَجَبِ، وَأُسَلِّمُ عَلَى الْعَمَرَيْنِ،
وَأَسْرُو عَنْ فَوَادِي حُجْبِ الرَّيْنِ، وَأُفْضِي بِذَاتِ صَدْرِي، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا يَدْرِي، وَأَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي،
وَأَبْرَأُ إِلَى يَوْمِي الْأَغْبَطِ مِنْ أَمْسِي، فِي حَيْثُ يَمْتَعُ السَّائِلُ، وَتُسْفَعُ الْوَسَائِلُ، وَتُنْجَبُ الذُّنُوبُ، وَتَطْمَئِنُّ
الْجُنُوبُ، اللَّهُمَّ يَا مَنْ بِيَدِهِ الْقُلُوبُ، وَلَدَيْهِ الْمَطْلُوبُ، فَإِنِّي أَتَوَسَّلُ بِنَبِيِّكَ الْمُرْتَضَى، إِلَى أَدَلَّةِ فَرِيضِكَ
الْمُقْتَضَى، وَأَسْأَلُكَ ثُرُوءَ تَعِينِ، وَمَرُوءَةَ عَلَى قَرَعِ الْحَوَادِثِ لَا تَلِينِ، حَتَّى تُكْرِمَنِي بِهَذِهِ الْوِفَادَةِ، وَتَسْمِنِي
بِحُظُوتِهَا الْمُسْتَفَادَةِ، وَتَقْطَعَنِي شَرَفَ تِلْكَ الْمَقَاوِمِ، وَتُطْلِعَنِي مِنْ هَاتِيكَ الرَّبِّي وَالْمَعَالِمِ، وَأُنَاجِيكَ يَا
رَبَّ الْعِبَادِ، بِخَيْثَةِ الْفَوَادِ، وَكَمِينِ الْأَمَلِ الْمُرْتَادِ، وَمُسْتَشْفَعًا إِلَى هَذَا الْقَبْرِ الْمُنْتَابِ، إِلَى مَا أُضْمِرُ مِنْ
طِلَابٍ، وَأَرْجُو مِنْ حُسْنِ مَابٍ، وَمِنْكَ الْإِجَادَةَ وَالْيَكَّ الْمَابِ، وَأَنْتَ الْجَوَادُ الْوَهَّابِ، ثُمَّ التَّحِيَّاتُ
الرَّقَاقَةُ النَّسِيمِ، الْمُنْسَابَةُ [التَّسْنِيمِ]، يُقَدِّمُهَا وَفَرُّ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، وَتَحْدُوهَا جَمَلُ التَّكْرِيمِ وَالتَّنْعِيمِ، عَلَى
النَّبِيِّ الْأَمِيِّ، نَوْرِ النَّدَى وَالنَّدِيِّ، وَعَلَى ضَيْعِيهِ مِنْ تَيْمٍ وَعَدِيٍّ¹.

¹ - مجموع العطاء الجزيل للبلوي: ن خ ح: [133-135].



انصراف:

وأخيراً... فإن للموضوع أذيا لا لم نشأ جرّها، وشجونا لم نطق حملها، فليستدلّ بالقليل على الكثير، وفي ما سبق إن شاء الله مّنع، وما فوق هذا إضجار وإبرام، ويكفي من القلادة ما أحاط بالطلّي.



لائحة المناقل:

المخطوطات:

- التذكرة الصلاحية، لصلاح الدين الصفدي: خ.
- زهرة الوسائل في المدح والرسائل، لمحمد بن محمد المرابط الدلائي (1099 هـ): نسخة خ ع ك، الرباط: 3179.
- العطاء الجزيل، للبلوي: نسخة الخزانة الحسنية، الرباط.
- مجموع ابن الحاج التميمي (ت 745 هـ)، كئاش التميمي: الإسكوريال رقم 483، ورقم 1734.
- تقريب المنهاج لفوائد نوازل ابن الحاج، لأبي القاسم عبد [الرحمن] بن أبي عبد [الله] بن أحمد بن محمد بن [شعيب] القيسي (ت 737 هـ)، نسخة خزانة ابن يوسف بمراكش رقم 491.

المطبوعات:

- آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي، تحقيق: د. عبد الحميد الهرامة، ط 1، دار قتيبة، 1991.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ)، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973 م.



– أزهار الرياض في أخبار عياض، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041 هـ):

الجزء 1 و 2: تحقيق: مصطفى السقا ومن معه، تصوير وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، عن طبعة المعهد الخليلي للأبحاث المغربي، بيت المغرب، القاهرة، 1361 هـ/1942 م.

الأجزاء 3، 4، 5: تحقيق د. عبد السلام المهراس وسعيد أحمد أعراب ومحمد بن تاويت الطنجي، طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي، الإمارات، المغرب، 1980 م.
– الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم السملالي التعارجي المراكشي (ت 1959 م)، راجعه: عبد الوهاب بن منصور، ووضع فهارسه: د. حسن جلاب، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993-1997 م/2003 م.

– أعلام مالقة، تأليف أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس، تقديم وتخرىج وتعليق: د. عبد الله المرابط الترغى، ط 1، نشر دار الأمان بالرباط، ودار الغرب الإسلامي بتونس، 1420 هـ/1999 م.

– البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن محمد، ابن عذاري المراكشي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ود. محمد بشار عواد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013.



- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، لخالد بن عيسى البلوي، تحقيق: الحسن السائح، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة، المحمدية، د ط ت.
- التكملة لكتاب الصلّة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ابن الأَبَّار (ت 658 هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011 م.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت 370 هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001 م.
- اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلى، لأبي الحسن ابن سعيد، علي بن موسى (ت 685 هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1400 هـ/1980 م.
- ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط 1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1994.
- ديوان ابن الصباغ الجذامي، تحقيق: د. محمد زكريا عناني، ود. أنور السنوسي، ط 1، دار الأمين، القاهرة، 1999.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتري (ت 542 هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000 م.



- الذيل والتكلمة لكاتب الموصول والصلوة، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت 703 هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، د. محمد بنشريفة، د. بشار عواد معروف، ط دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012 م.
- رسائل ديوانية من سبته في العهد العزفي، إنشاء خلف الغافقي القبتوري (615-704 هـ)، تقديم وتحقيق د. محمد الحبيب الهيلة، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، 1399 هـ/1979 م.
- ریحانة الكتاب ونجعة المنتاب، للسان الدين ابن الخطيب (ت 776 هـ)، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980.
- سراج المريدين في سبيل الدين، لابن العربي الإشبيلي (ت 543 هـ)، تحقيق: د. عبد الله التوراتي، ط 1، دار الحديث الكنائية، طنجة، بيروت.
- الصّاح تاج اللغة وصّاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ/1987 م.
- ابن طلحة اليابري (ت 523 هـ) ومختصره في أصول الدين، دراسة وتحقيق: د. محمد الطبراني، ط 1، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، 2013 م.
- عيون الإمامة ونواظر السياسة، لأبي طالب المرواني (ت.516هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، وصلاح محمد جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1431هـ/2010م.
- قصائد ومقطعات لأبي الحسن حازم القرطاجني (224)؛ تقديم وتحقيق د محمد بلحبيب بلخوجة، تونس، 1972.



- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة، للسان الدين ابن الخطيب (ت 776 هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1963.
- كنز الكتاب ومنتخب الآداب، لأبي إسحق إبراهيم بن الحسن البونسي (ت 651 هـ)، تحقيق حياة قارة، ط 1، إصدارات المجمع الثقافي، أبوظبي، 2004 م.
- ابن لبّال الشريشي، لابن شريفة، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996.
- محاسن المجالس، لأبي العباس أحمد بن محمد بن العريف الصنهاجي (ت 542 هـ)، تحقيق: آسين بلاتيسوس، باريس، 1933 م.
- مسائل ابن رشد الجد (ت 520 هـ)، تحقيق: د. محمد الحبيب التجكاني، ط 1، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1992 م.
- المطرب من أشعار أهل المغرب، لأبي الخطاب ابن دحية السبتي (ت 633 هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ود. حاد عبد المجيد، ود. أحمد أحمد بدوي، ط 1، المطبعة الأميرية، مصر، 1955.
- مظاهره المسعى الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة ملقى السبيل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ابن الأبار (ت 658 هـ)، تحقيق د. أيمن محمد ميدان، مركز البابطين لتحقيق المخطوطات الشعرية، دار الوفاء، الإسكندرية، 2009 م.
- معجم السفر، للحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلّفي (ت 576 هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، 1414 هـ/1993 م.



- المعسول، للعلامة محمد المختار السوسي (ت 1383 هـ)، ط1، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، 1380 هـ/1961 م.

- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914 هـ)، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد محي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1981 م.

- ابن مَغَاوِر الشَّاطِبي (ت 587 هـ): حياته وآثاره، دراسة وتحقيق: د. محمد بنشريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1415 هـ/1994 م.

- مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، لأبي العباس أحمد بن محمد بن العريف الصنهاجي (ت 542 هـ)، تحقيق: دة. عصمت عبد اللطيف دندش، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيبة إلى الحرمين مكة وطيبة، تقييد أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي (ت 721 هـ بفاس)، (الجزء السابع)، تحقيق: د. أحمد حدادي، ط1، مطبعة الجسور، 2012.

- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، عرف بالخطاب الرُّعيني (ت 954 هـ)، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416 هـ/1995 م.



- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، مصورة دار الفكر عن طبعة دار صادر، بيروت، 1988 م.
- نوازل ابن الحاج التجيبي (ت 529 هـ)، تحقيق: أحمد شعيب اليوسفي، ط 1، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، 1439 هـ.
- الوسائل المتقبلة، لأبي زيد عبد الرحمن يَخْلُفَتَنَ الفازازي الأندلسي (ت 627 هـ)، مع تخميسها لأبي بكر محمد بن وهيب، المطبعة الميمنية، مصر، 1322 هـ.
- نصيحة المشاور وتعزية المجاور، لأبي محمد عبد الله ابن فرحون المالكي (ت 769 هـ)، تحقيق: علي عمر، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.

د. محمد الطبراني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن، جامعة القاضي عياض

tabarany.com

twitter.com/oknda1osdqmhbj

